الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 معهد الآثار

مطبوعة دروس في مقياس

علم الكتابات والمخطوطات الإسلامية

موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس- آثار إسلامية-

إعداد أستاذ المقياس

د/ فيصل نايم

السنة الجامعية

2022 -2021

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس العام

- **توطئة** ص04

أولا: علم الكتابات

1. أنواع الكتابات الأثرية ص05
2. رواد علم الكتابات ص06
3. أهمية الكتابات الأثرية ص11
4. كيفية جرد ودراسة الكتابات الأثرية ص13
5. نشأة الكتابة العربية ص20
6. نظريات حول نشأة الخط العربي ص23
7. تطور الخط العربي وأهم أنواعه ص26

ثانيا: علم المخطوطات

1. تعريفات ومفاهيم حول صناعة المخطوط ص36
2. مظاهر الفنون في المخطوط الإسلامي ص43
3. الرقمنة وعلم الكوديكولوجيا ص62
4. مجهودات الجزائر في رقمنة المخطوطات ص71
5. مخطوطات الجزائر والجهود المبذولة ص75
6. مخطوطات الجزائر بين 1830 و 1962 .....ص82
7. مخطوطات الجزائر من 1962 إلى اليوم ص88

- **خاتمة** ص95

- **قائمة المصادر والمراجع** ص97

- توطئة:

تشكل دراسة علم الكتابات والمخطوطات المصدر الهام والمهم للعديد من الدراسات التاريخية والأثرية كونهما مادة أصلية وأصيلة لا يمكن الطعن فيها ومتنوعة في مجالات العلم والمعرفة والفنون على حسب الهدف التي نشئت من أجله، لذا جاءت المؤلفات كثيرة ومتنوعة بين المراجع والمصادر المادية والأدبية التي تبحث عن هذا المخزون الفكري، فتنوعت دراسة المخطوطات ودراسة الكتابات بين التحقيق والفهرسة والجرد والتنميط والجانب الكوديكولوجي والتعامل مع المخطوطات صيانة وعلما وعملا وكذلك الشأن نفسه في دراسة الكتابات تنميطا وجردا وتصنيفا.

والهدف من تدريس هذا المقياس هو الالمام بكيفية توظيف المخطوطات في الدراسات الأثرية، سواء من حيث الرصيد العلمي الذي تحتوي عليه، أو من جانب المخطوط ذاته باعتباره قطعة مادية أو تحفة فنية، وجب دراستها دراسة أثرية وما تتطلبه من أنواع الدراسات في مجال علم الآثار، كذلك هو الشأن نفسه في دراسة الكتابات وما يتعلق بها من وعاء معرفي ومادي كونها تتكون من مظاهر فنية كالكتابة ونوع الخط وطرق تنفيد الكتابة على المادة الصلبة وبقية أنواع المواد المستعملة في تنفيد الكتابة الأثرية ومعرفة الغرض الذي وجدت من أجله، لذا يمكننا معرفة نوع الخط ونوع المادة ونوع المداد أو الحبر المستعمل في الكتابة والزخرفة، وكذا معرفة زمن تاريخ النسخ وبعض الزخارف الواردة في لوحة الكتابة.

وفي هذا الصدد قدمنا لطلبتنا الأعزاء سلسلة من المحاضرات كلها تصب في المحتوى المنشود بأسلوب بسيط وسهل يمكن لأي طالب أن يستوعبه، ويشمل بذلك جوانب عديدة حول مادة المقياس وأهم ما جاء في عناوين المحاضرات كالآتي ذكره:

أولا : علم الكتابات

1. أنواع الكتابات الأثرية

تنوعت الكتابات الأثرية العربية حسب الغرض الذي سجلت من أجله. لذلك يمكن حصرها فيما يلي:

-**كتابات أثرية زخرفية**: تتضمن بعض الآيات القرآنية والأدعية والعبارات الدينية الغرض منها التبرك وتزيين المبنى أو التحفة الفنية.

- **كتابات أثرية زخرفية تذكارية**: تتضمن ذكرى بناء أو تجديد أو زيادة واسم صاحب العمل والغرض منها التزيين وتخليد ذكرى العمل أو الصناعة، والتبرك إن أضيفت إليها بعض الآيات والعبارات الدّينية والأدعية سواء تعلق الأمر بمبنى أو تحفة.

- **كتابات أثرية تذكارية**: تكون عادة عبارة عن لوحات من مواد مختلفة يسجل عليها تاريخ العمل وصاحب العمل أو الصناعة وبعض الأدعية، والغرض منها تخليد ذكرى عمل المبنى أو صناعة التحفة.

- **كتابات أثرية جنزية أو جنائزية أو شاهدية**: أوما يسمى بشواهد القبور، والغرض منها تخليد ذكرى الوفاة والدعاء للمتوفي. ولقد وصلت إلينا ألوف من الكتابات الأثرية في ديار الإسلام على جدران المساجد والأضرحة والتكايا والمدارس والقصور والدور والأسبلة والعيون والحصون والقلاع، وأيضا على التحف الأثرية. ولم يكن الدافع من خلال هذه الكتابات هو تسجيل الأدعية والآيات القرآنية والحقائق التاريخية فحسب، بل الأمر الذي ساعد على الإقبال عليها أن المسلمين اتخذوا الكتابة عنصرا هاما من العناصر الزخرفية، وغلب على هذه الكتابات ذكر الخالق والتقرب إليه بالأدعية أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونقل آيات الذكر الحكيم أو الترحم على الموتى. ومن ناحية أخرى الإشادة بذكر الخليفة أو السلطان أو الأمير مع بيان ألقابه وأهم أعماله.

2. رواد علم الكتابات

قبل أن نشير إلى أهمية الكتابات الأثرية وما تحتويه من حقائق قد تغير العديد من المعطيات المتعلقة بالآثار والتاريخ، لا بد لنا من ذكر رواد هذا العلم الذين استطاعوا أن يوازنوا بين الكتابات الأثرية والمصادر التاريخية والأدبية، على نحو ما فعل المستشرق السويسري **ماكس فان برشم Max Van Berchem** الذي يعتبر رائد المشتغلين بعلم الكتابات الأثرية الإسلامية.

وقد ولد ماكس فان برشم **(Max Van Berchem)** سنة **1863** ودرس على أعلام المستشرقين وعلماء الآثار في سويسرا وألمانيا وفرنسا، وما لبث أن ظهر نبوغه في قراءة الكتابات الأثرية العربية وتفسيرها وربطها بمسائل التاريخ الإسلامي، حتى أصبح أكبر حجة في هذا الميدان وصار عالما يقتدى به، واتبع منهجه علماء هذا الجانب من الدراسات الإسلامية في العصر الحاضر. وقد زار فان برشم بلاد الشرق الإسلامي ورجع منها بمحصول وافر من المواد والوثائق العلمية اللازمة للعمل الذي كان يعده، وهو وصف العمائر الإسلامية في الشرق الأدنى وجمع ما عليها من كتابات أثرية لتظهر في مؤلف كبير يضم من التعليقات التاريخية ما يشهد بغزارة هذا العلم وهو:

«Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum »

واستعان فان برشم في هذا العمل بأعوان من زملائه وتلاميذه، فجمعوا معه الكتابات الأثرية في مصر وسوريا وفلسطين. وأدرك مجمع الآداب الرفيعة Academie des Belles Lettres في باريس ما لهذا الكتاب من عظيم الشأن فشمل نشره برعايته وجعله لاحقا لجامع الكتابات السامية الذي نشر قبل ذلك.

وكتب فان برشم مع **أدمون فاتيو** وصفا لرحلته بين المعالم الأثرية في سورية عرض فيه وصفا لها مع ما يتصل بها من أحداث تاريخية، مما جعل هذا الكتاب من أنفس المراجع في تاريخ الشام وآثارها والعلاقات بين الشرق والغرب في عصر الحروب الصليبية.

إلا أن الحرب العالمية الأولى أبعدت عن فان برشم كثيرين من تلاميذه وأعوانه، وبعد الحرب وعودة الطلاب أنهك العمل فان برشم الذي سقط مريضا وكان في مصر فنصحه الأطباء بالعودة سريعا إلى أوروبا ومات هناك بعد بضعة أسابيع سنة **1921**.

مات فان برشم ولكن علم الكتابات الأثرية الإسلامية كان قد نما وترعرع واستقرت أصوله وقواعده. وخلف فان برشم مجموعة من تلاميذه وعلى رأسهم **جاستون فييت Gaston Wiet** الذي وقف على إتمام الجزء الخاص بمصر من "**جامع الكتابات العربية**" فكتب الجزء الثاني من هذا المرجع.

وتضافرت جهود تلاميذ فان برشم على تنفيذ مشروعه الذي أراد من ورائه جمع النصوص العربية المكتوبة على العمائر والتحف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ونهض بأعباء هذا المشروع كل من فييت **Wiet** وكومب **Combe** وسوفاجيه **Sauvaget** معتمدين على مساعدة المشتغلين بالآثار الإسلامية والتاريخ الإسلامي. وكان طبيعيا أن يهدى هذا السجل إلى ذكرى فان برشم. هكذا ولدت فكرة **السجل التاريخي للكتابات العربية** »

.« Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe »

وقد ظهر الجزء الأول منه سنة **1931** وتلته أجزاء أخرى حتى طبع الجزء الثالث عشر سنة **1944**، ويشتمل كل جزء من هذا السجل على أربعمائة كتابة مرتبة ترتيبا تاريخيا وموصوفة وصفا موجزا، وإلى جانب كل منها بيان المراجع المختلفة التي تحدثت عنها أو عن العمارة أو التحفة المكتوبة عليها. وقد بدأ السجل بنقش النمارة المكتوب بالحروف النبطية سنة **328** ميلادي. وتاريخ آخر الكتابات في الجزء الثالث عشر سنة **705**هـ. وقد جمع هذا السجل كل الكتابات المؤرخة، أو التي يمكن معرفة تاريخها باسم أمير أو حاكم أو بطرازها الفني أو بغير ذلك من الأدلة والقرائن.

أما عن دراسات الباحثين العرب والمسلمين المحدثين في مجال الكتابات العربية فقد قام الدكتور **إبراهيم جمعة** بدراسة الخط الكوفي على الأحجار خلال الخمسة قرون الأولى للهجرة، وقد استفاد في دراسته مما كتبه المستشرقون واعتمد أيضا على بعض ما كتبه المؤرخون القدامى. كما أسهم الدكتور **خليل يحي نامي** بجهد كبير في دراسة أصل الخط العربي ونشأته. كما ألف الدكتور **عبد العزيز الدالي** كتابا أسماه « **الخطاطة، الكتابة العربية** » تعرض فيه لنشأة وتطور الخط العربي واهتمام المسلمين بتجويده.

هذا بالإضافة إلى ما صدر من كتالوجات مصورة عرض فيها أصحابها أمثلة لأنواع الخط العربي من ذلك على سبيل المثال كتابان للأستاذ **ناجي زين الدين** وهما: « **مصور الخط العربي** » و« **بدائع الخط العربي** ». وكتاب الأستاذ **كامل البابا الخطاط** بعنوان: « **روح الخط العربي** ».

ومن الذين اهتموا بالكتابات العربية في بلاد المغرب **روي وبوانسو Roy et Poinssot** وذلك بالمؤلف الذي خصص لكتابات مدينة القيروان بعنوان: : « **الكتابات العربية بالقيروان** » وكتاب آخر لروي بعنوان « **الكتابات العربية بالمنستير** » كما ألف **بوريلي Bourelly** كتابا حول : : « **شواهد قبور المغرب** » وحول كتابات الأندلس ألف **ليفي بروفنسال Levi Provençal** كتاب : « **جامع الكتابات الأسبانية** » كما جمع الباحث **مصطفى زبيس** كتابات تونس في كتابه: : « **جامع الكتابات العربية بتونس** »

لكن إذا أردنا أن نتحدث عن نشأة هذا العلم وبداية الاهتمام به في الجزائر فيمكننا القول بأنه حديث العهد إذا ما قورن ما أنجز في المشرق الإسلامي، إلا أن هناك مجموعة من الدارسين الفرنسيين اهتموا بهذه الكتابات وحاولوا الإشارة إليها أو جمعها وذلك ضمن بعض الدراسات الوصفية لبعض المباني أو ضمن مدونات خاصة بالكتابات فقط، ونذكر من هؤلاء:

- **بروسلار Brosselard**: نشر مجموعة من المقالات بالمجلة الإفريقية بعنوان:

« Les inscriptions arabes de Tlemcen. »

أو «الكتابات العربية بتلمسان » وذلك منذ **1858**.

- **ألبير دوفو Albert Devoulx: قام بنشر مجموعة من المقالات بالمجلة الإفريقية** بعنوان:

« Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger »

وهذا في سنة **1872** و **1873** م قبل أن يقوم في النهاية بتأليف كتاب خاص بهذه المجموعة من الكتابات وذلك عام **1874** وعنوانه:

archéologique d'Alger, suivie d'un musée « Epigraphie indigène du musée mural à Alger. »

- **غابريال كولان Gabriel Colin:** قام في عام **1901**م بتأليف جامع لكتابات مدينة الجزائر تحت عنوان: **«جامع الكتابات العربية و العثمانية في الجزائر– 1: عمالة الجزائر»**

« Corpus des inscriptions arabes et Turques d'Algérie, I, Département d'Alger »

- **غوستاف مرسي Gustave Mercier**: قام بإعداد جامع مماثل للسابق خاص بكتابات مدينة قسنطينة وذلك سنة **1902** وكان عنوانه:

« Corpus des inscriptions arabes et Turques d'Algérie, II, Département de Constantine. »

- **الدكتور رشيد بورويبة**: ألف كتابا باللغة الفرنسية بعنوان:

« Les inscriptions commemoratives des mosquées d'Algerie. »

ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ إبراهيم شبوح وصدر في سنة **1979** بعنوان: « **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية** »

- **الدكتور معزوز عبد الحق والدكتور لخضر درياس**: اللذان شرعا في إعداد« **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر**» صدر الجزء الأول حول: **كتابات الشرق الجزائري**. والجزء الثاني حول: **كتابات مدينة تلمسان – الكتاب الأول – مجموعة متحف تلمسان.**

ومما لا شك فيه أن الباحث في تاريخ الكتابة العربية ونشأتها وتطورها وأنواع خطوطها لا بد أن يستفيد مما ورد عنها في المصادر العربية للمؤرخين القدامى ومنها على سبيل المثال:

- **ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمان)**، المقدمة.
- **ابن خلكان (أحمد بن محمد)**، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
- **السيوطي (جلال الدين)**، الاتقان في علوم القرآن.
- **الصولي (أبو بكر محمد بن يحي)**، أدب الكتاب.
- **ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد)**، العقد الفريد.
- **القلقشندي (أبو العباس أحمد)**، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.
- **ابن النديم (محمد بن اسحاق)**، الفهرست.

3. أهمية الكتابات الأثرية

تعتبر دراسة هذه الكتابات ذات أهمية كبيرة بالنسبة لعلم الآثار للأسباب التالية:

- تمدنا بسلسلة متكاملة لأسماء الخلفاء والملوك والسلاطين وفترات حكمهم على مر العصور الإسلامية المختلفة. بالإضافة إلى معرفة ودراسة أسماء كبار رجال الدولة وتتحقق الفائدة من دراسة هذه الأسماء بالربط بينها وبين كتب التراجم والمصادر العربية مما يلقي الضوء على أنسابهم وأوضاعهم الاجتماعية. ومنها ما يؤكد أو ينفي أو يصحح ما يرويه المؤرخون. كما تعتبر هذه الكتابات من الوسائل التي تمكن الباحث من الخروج بموسوعة عن الفنانين وأهل الصنعة، مثل علبة عاج من صناعة أندلسية سنة 417 هـ / 1026 م مسجل عليها شريط بالكتابة الكوفية تشير إلى اسم صانعها " محمد بن زيان ". وأمدتنا الكتابات على الخزف ذي البريق المعدني الفاطمي بأسماء صناع مثل مسلم بن الدهان وأبو الفرج العلوي وعلي البيطار.....

- إن الكتابات المسجلة على العمائر والفنون تشتمل في كثير من الأحيان على تاريخها أو تتضمن غالبا أسماء الخلفاء أو الملوك أو الحكام مما يساعد على تأريخ الأثر بشكل دقيق وقياسا عليها يمكن بعد ذلك تأريخ الآثار غير المؤرخة عن طريق المقارنة.

- يستطيع الباحث من خلال دراستها أن يخرج بدراسة متكاملة عن مميزات الخط في كل عصر من العصور بمختلف أنواعه من كوفي ونسخي وثلث وفارسي ومغربي ...

- تمكننا الكتابات من التعرف على الألقاب والوظائف السائدة في كل عصر مما يلقي الضوء على دراسة طبقات المجتمع والحياة الدينية والاقتصادية والسياسية في جميع أقطار العالم الإسلامي. ومنها الألقاب الخاصة بالنساء مثل: عصمة الدين، والحرة والستيرة ... بالإضافة إلى الألقاب الدينية مثل: الإمام، والمهدي، والحاج، والمجاهد والزاهد والعابد وأخرى تتعلق بالوظائف مثل الباشا والآغا والباي والداي.

- تحقيق دراسة حول المصطلحات الأثرية الشائعة في كل عصر والواردة على العمائر والفنون مثل: الجامع والمسجد والقبة والمدرسة والوكالة والخان والخانقاه والبيمارستان..

- تكشف بعض عبارات الوقف الواردة على بعض العمائر والتحف الفنية من معادن وأخشاب عن الدور الهام الذي كانت تقوم به الأوقاف في كل عصر.

- تشير بعض أسماء الصناع والمصطلحات المعمارية التركية والفارسية بالنصوص الأثرية على العمائر والفنون الإسلامية إلى التأثيرات الفنية المتبادلة بين البلاد الإسلامية.

- تفيدنا دراسة النصوص الأثرية في دراسة الرنوك المصاحبة لتلك الأشرطة الكتابية على العمائر والتحف الفنية سواء منها الرنوك الكتابية التي تحمل اسم السلطان وألقابه مصحوبة ببعض الأدعية له أو الرنوك المصورة الدالة على القوة الخاصة بالسلاطين أو الرنوك الوظيفية الخاصة بالأمراء.

- تتيح دراسة الكتابات الأثرية الفرصة للوقوف على طبيعة المعاملات في العصور الإسلامية من بيع وشراء وعقود ملكية على مواد مختلفة كانت تثبت على العقارات.

- تكشف دراسة الكتابات أيضا عن وجود جهاز مسؤول في الدولة يتولى انتقاء تلك النصوص والألقاب الخاصة بالسلاطين والأمراء وربطها بمجريات الأحداث السياسية والدينية.

- يمكننا التعرف من خلال الكتابات على أنواع العناصر الزخرفية التي كانت سائدة بالمنطقة في كل عصر من العصور من نباتية وهندسية ورمزية ودلالاتها.

- ومن خلال المواد المستعملة في الكتابات نستطيع الوصول إلى المواد التي كانت متوفرة بالمنطقة وذلك حسب الاستعمال الواسع لمادة معينة من هذه المواد.

- يمكننا التعرف أيضا على التقنيات التي توصل إليها الفنان في نقش النصوص والزخارف على مختلف المواد من حفر ودهن وحز....

4. كيفية حرد ودراسة الكتابات الأثرية

1.4. العناصر التي يجب أن تتوفر في جرد الكتابات:

تسمية الكتابة أو الشاهد – المبنى - نوع العمل إذا تعلق الأمر بمبنى - نوع الشاهد مكان الحفظ - رقم الجرد- المصدر – المادة – المقاسات - طريقة التنفيذ - نوع الخط ارتفاع الحروف الصاعدة - عدد السطور – التاريخ - حالة الحفظ – النص - ترجمة النص إلى اللغة العربية إذا كان بالغة التركية العثمانية - تصوير فوتوغرافي.

2.4. عناصر دراسة الكتابات:

- **الدراسة الوصفية**: ويقصد بها وصف الكتابة من حيث المقاسات والشكل والمادة والتقنية.
- **النص**: ويشترط أن يكتب النص كما ورد في الكتابة وتلحق الكلمات المطموسة أو الخاطئة بتعليقات في الحواشي.
- **التحليل الأبجدي**: وهو دراسة صور الحروف في حالتيها المفرد ووالمركبة ودراسة هذه الأخيرة وهي مبتدأة ومتوسطة ومتطرفة في الكلمة، مع إخراج جدول يضم كل هذه الحالات.
- **المضامين**: ويقصد بذلك الصيغ والألقاب والأعلام والحكام والمصطلحات المعمارية إن وجدت، وتعريف كل العناصر التي تضمنتها الكتابة.
- **العناصر الزخرفية**: دراسة الزخارف التي ازدانت بها الكتابة من نباتية وهندسية ورمزية.
- **تعريف المبنى**: وهو ما يعرف بمصدر الكتابة.

3.4. طريقة دراسة الكتابات الأثرية التذكارية:

4.4. نموذج لبطاقة كتابة تأسيسية:

المبنى		غير معروف
نوع العمل		تأسيس
مكان الحفظ		المتحف الوطني للآثار
رقم الجرد		II.S.27
المادة		رخام
المقاسات	الضلع	49 سم
	السمك	9 سم
طريقة التنفيذ		الحفر البارز
نوع الخط		خط النسخ
ارتفاع الحروف الصاعدة		مابين 5 سم و 7 سم
عدد السطور		6
التاريخ		1123 هـ
حالة الحفظ		متوسطة

النص:

س1 – الحمد لله هاذا بناء مبارك بديع في غاية

س2 – الاتقان وحسن الصنيع احدثه الامير

س3 – الهمام فخر الأمراء الكرام المايد بعناية

س4 – الملك العلام علي داي ابن حسين سوكلي

س5 – كان الله له ولى وذلك بتاريخ ربيع

س6 – الثاني من عام ثلاثة وعشرين ومائة والف 1123

5.4. طريقة دراسة الكتابات الأثرية الجنائزية أو الشاهدية

6.4. نموذج لبطاقة شاهد قبر (شاهد قدمين):

مكان الحفظ		مقبرة سيدي عبد الرحمان
رقم الجرد		--------
المصدر		مقبرة سيدي عبد الرحمان
نوع الشاهد		شاهد القدم
المادة		أردواز
المقاسات	الإرتفاع	57 سم
	العرض	33 سم
	السمك	8 سم
طريقة التنفيذ		الحفر الغائر
نوع الخط		خط الثلث
ارتفاع الحروف الصاعدة		7 سم
عدد السطور		4
التاريخ		1234هـ
الحالة		متوسطة الحفظ

النص:

س1 - هذا قبر المرحوم

س2 - بكرم الحي القيوم

س3 - الحاج مصطفى بن الحاج محمد

س4 - رحمة الله عليه سنة 1234

7.4.نموذج لبطاقة شاهد قبر (شاهد رأس)

مكان الحفظ		مقبرة ضريح سيدي عبد الرحمان
رقم الجرد		----------
المصدر		مقبرة ضريح سيدي عبد الرحمان
نوع الشاهد		مشهد الرأس
المادة		أردواز
المقاسات	الإرتفاع	57 سم
	العرض	33 سم
	السمك	8 سم
طريقة التنفيذ		الحفر الغائر
نوع الخط		خط الثلث
ارتفاع الحروف الصاعدة		7 سم
عدد السطور		4
التاريخ		-------
الحالة		متوسطة

النص:

س1 - لا اله الاّ الله

س2 - الملك الحق المبين

س3 - محمد رسول الله

س4 - صادق الوعد الأمين

وجه

ظهر

5. نشأة الكتابة العربية

يعتبر الخط العربي من أهم العناصر الفنية التي استخدمها الفنان المسلم لتنميق عمله الفني وتزيينه بحيث قلما نجد عملا فنيا لا يكون للخط فيه المكان البارز والمهم، فقد تطور على أيدي الخطاطين المسلمين إلى فن جميل تصدر الفنون الإسلامية فتنوعت أشكال حروفه واتسمت بالحيوية والمرونة والمطاوعة، وقابلية المد والرجع والاستدارة والتزوية والتشابك والتداخل، واختلاف في الفصل والوصل لذلك استعمل بعدة طرق في الزخرفة.

ومن الأسباب الرئيسية التي دفعت الخطاطين المسلمين إلى العناية بالخط كونه الوسيلة الأساسية لحفظ القرآن الكريم، كما كان الوسيلة الأساسية أيضا للعلم والتعلم، هذا بالإضافة إلى كراهية الإسلام لتصوير الكائنات الحية إذ عوض ذلك بالخط العربي الذي أبرز فيه الفنانون المسلمون مواهبهم واتخذوا من هامات حروفه الرأسية وقوائمها ضفائر وجدائل تتفرع منها فصوص على شكل عقود تضم بداخلها تشبيكات ومنحنيات هندسية يتخللها مهاد من التوريق وترجع العناية بالخط وانتشاره كذلك إلى تعريب الدواوين في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، إذ كان استخدام اللغة العربية في الدواوين عاملا رئيسيا في أن يحل الخط العربي محل الكتابات الأخرى في الدواوين ومكاتباتها الرسمية مما أدى إلى الإقبال على تعلمه وانتشاره في الأقطار الخاضعة لحكم المسلمين، فأصبح الخط العربي من أبرز مظاهر سيادة الدولة الإسلامية فاستعمل في كتابة عدة لغات مثل الفارسية والتركية، وباستخدام المسلمين للورق وتعلم صناعته ازداد تطوير الخط العربي وتحسينه.

ولقد بذل المسلمون جهودا خارقة من أجل النهوض بالخط العربي والوصول به إلى أرقى درجات القيم الجمالية فحظي بكثير من العناية، من أجل التحسين والتجميل بالإضافة إلى تزويده بعلامات الإعجام والإعراب وباهتمام المسلمين بالخط العربي أصبح للخطاطين مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي ووصل العدد الأعظم منهم إلى مستويات عالية في هذا الفن، فأودعوه خلاصة تجاربهم وزبدة مهاراتهم بحيث أصبح من أهم مقومات الزخرفة

الإسلامية، وكان الخطاط أكثر أرباب الصناعات والفنون تكريما وإجلالا سواء عند العامة من الناس أو عند الخاصة أو العلماء ورجال الدين والدولة.

ولقد أسهم الخطاط في تزيين العدد الأكبر من التحف الفنية الإسلامية في العمارة وفي الفنون التطبيقية، إذ يمثل الخط في كثير من الأحيان أهم عناصر الزخرفة للتحفة الفنية كما يمثل في البعض الآخر العنصر الزخرفي الوحيد فيها، وفي أحيان أخرى نشاهد على بعض التحف حروفا عربية متصلة لا تؤدي أي معنى ولكنها تتخذ حلية وتؤدي في هذه الحالة وظيفة زخرفية وقد تتميز الكتابة بالغموض حتى تتعذر قراءتها وتفسيرها.

وفي مجال العمارة الإسلامية كان للخط دور بارز في تجميل العناصر المعمارية، وكانت النقوش الكتابية تنفذ بوسائل مختلفة كالتلوين والحفر البارز أو الغائر أو بواسطة الفسيفساء أو على بلاطات الخزف، وكانت تنقش في داخل البناء بأعلى الجدران أو في واجهاتها أو تدور مع قواعد القباب أو في بواطن العقود.

وفي فضائل الخط العربي يقول أبو العباس أحمد القلقشندي في كتابه " صبح الأعشى في صناعة الانشا" وبالجملة فليس يذكر ذاكر شيئا مما يجري به الخاطر، أو يميل إليه العقل أو يلقيه الفهم أو يقع عليه الوهم أو تدركه الحواس، إلا والكتاب والكلام موكلان به، مدبران له معبران عنه ".

ويضيف قائلا: " وأيضا فإن فيه من حفظ الحقوق ومنع تمرد ذوي العقوق بما يسطر عليهم من الشهادات التي تقع في السجلات والمكاتبات بين الناس في حوائجهم من المسافات البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك لحامل رسالة ولا يناله الحاضر بمشافهة، وإن كثر حفظه وزادت بلاغته ولذلك قيل: الخط أفضل من اللفظ: لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط والخط يفهم الحاضر والغائب".

وعرف بعض الباحثين الخط بكتابة الحروف العربية في الصورتين المفردة والمركبة بشكل جميل وحسن، تبعا لأصول الفن وقواعده التي وضعها كبار أرباب هذا الفن.

كما قيل أنه كلما تتعرف منه صور الحروف في الإفراد وأوضاعها وكيفية تركيبها خطأ، وكيفية الكتابة في السطور، وتغيير ما يغير منها في الهجاء وبماذا يغير....

والخط في الواقع هو أداة الكتابة، والكتابة في حد ذاتها ظاهرة من الظواهر الإنسانية الحضارية، ومن الضرورات الاجتماعية التي لا يمكن اكتسابها إلا بالتحضر وهي وسيلة للاتصال والتفاهم ابتكرها الإنسان ليعبر بها عما يريد حتى تسجل وتحفظ من الضياع

6. نظريات حول نشأة الخط العربي

اختلف الباحثون في التوصل إلى الجذور التاريخية للخط العربي وتعددت النظريات في أصل هذا الخط من ذلك ما أوردته المصادر العربية ومنها ما توصل إليه الباحثون المعاصرون، وفيما يلي عرض موجز لهذه الآراء والنظريات:

الرأي الأول: الخط توقيف:

هناك العديد من المؤرخين يرجع أصل الحرف العربي إلى آدم – عليه السلام اعتمادا على قوله تعالى: " وعلم آدم الأسماء كلها " وعلى هذا الرأي تجمع المصادر العربية على أن الخط العربي أمر توقيفي من الله سبحانه وتعالى عرفه آدم قبل موته بثلاث مئة سنة، كتبه في الطين ولما أصاب الأرض الطوفان والغرق وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به فكان إسماعيل – عليه السلام – أبو العرب قد وجد الكتابة العربية فكتبها وتعلمتها منه العرب المستعربة.[1]

إلا أن الدكتور خليل يحي نامي يرى أن هذا الرأي لا يقوم على حقيقة علمية ثابتة بل وضع لتفسير الآيات القرآنية " اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم " و " ن والقلم وما يسطرون".

الرأي الثاني: الخط ابتكار من صنع الإنسان:

1.النظرية الجنوبية:

هناك من يرى أن حضارة اليمن في عصر الدولة الحميرية (في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد) والتي سيطرت على مناطق الجزيرة العربية والقبائل القاطنة في شمال الجزيرة كانت تكتب باللغة الحميرية التي تعتمد على القلم المسند. ويتضح ذلك من خلال النصوص التي عثر عليها والتي تحمل أصلا لرسم الحرف العربي الذي عرف تطورا فيما بعد في دولة المناذرة. وتذكر العديد من الروايات المنقولة من المصادر انتقال الكتابة من الجنوب إلى

[1] يحي وهيب الجبوري، الخط والكتابة العربية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1994، ص17

الشمال وسيادة الخط المسند المزوى في الآثار المكتوبة دون الإشارة إلى أصل الحرف أو رسمه آنذاك.

2. النظرية الشمالية:

يذهب أصحاب النظرية الشمالية إلى القول بأن أول من وضع العربية ثلاثة رجال من بولان وبولان قبيلة طي نزلوا مدينة الأنبار وهم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدره، اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة ثم أقاموها على هجاء السريانية، فأما مرامر فوضع الصور وأما أسلم ففصل ووصل وأما عامر فوضع الاعجام، فتعلم منهم قوم من أهل الأنبار ثم علموها لنفر من أهل الحيرة، ولما أتى بشر بن عبد الملك الكندي أخو الأكيدر صاحب دومة الجندل إلى الحيرة تعلم الخط العربي من أهلها، ولما ذهب إلى مكة طلب منه كل من سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أن يعلمهما هذا الخط فكان لهما ذلك، وعندما أتى بشر وأبو قيس الطائف تعلم منهما نفر من أهل الطائف ثم مضى بشر إلى ديار مصر وعلم نفرا منهم ثم انتقل إلى الشام وعلم نفرا أيضا هناك، وبذلك انتشر الخط العربي بتأثير الطائيين الثلاثة وبشر في العراق والحجاز ومصر والشام.[2]

3. نظرية الخط المصري القديم:

أما أصحاب نظرية الخط المصري القديم فيرجعون أصول الخطوط السامية عامة إلى الخط المصري القديم إذ يعتبروا أن أول مرحلة من مراحل الخط العربي هو الخط المصري والمرحلة الثانية الخط الفنيقي نتيجة احتكاكهم وتعاملهم مع المصريين بسبب التجارة فتعلموا كتاباتهم ثم وضعوا لأنفسهم حروفا خالية من التعقيد لكي يسهل استعمالها في المعاملات التجارية وأخذوا من حروف المصريين خمسة عشرة حرفا مع بعض التعديل وأضافوا باقي الحروف.

4. النظرية الحديثة:

[2] يحي وهيب الجبوري، الخط والكتابة العربية، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1994، ص17

ويقول أصحاب النظرية الحديثة أن النبط الذين كانت عاصمتهم البتراء هم عرب أغاروا على مناطق آرمية واكتسبوا من حضارتها واستخدموا اللغة الآرامية في كل الشؤون العمرانية واشتقوا خطا من خطوط الآراميين وكتبوا به لكنهم قد يكونوا احتفظوا باللغة العربية كلغة لشؤونهم الخاصة وابتدعوا خطا مشتقا من الآرامي عرف بالنبطي، ورغم زوال مملكتهم في أوائل القرن الثاني ميلادي إلا أن طريقتهم في الكتابة بقيت مستعملة عند الأعراب الذين كانوا ينزلون في أقصى شمال شبه الجزيرة وذلك لمدة ثلاثة قرون.

وبعد البحوث اتضح أن عرب الشمال اشتقوا خطهم من الصورة الأخيرة التي عرفها خط النبط ولم يتحرر الخط العربي من هذه الصورة النبطية إلا بعد أن استعاره العرب الحجازيون بقرنين من الزمان.

7. تطور الخط العربي وأهم أنواعه

جاء الإسلام والكتابة معروفة عند العرب ولكن في نطاق محدود للغاية يتمثل في نفر قليل بمكة بسبب اختلاط الوفود القادمة من مختلف أنحاء شبه الجزيرة في موسم الحج في الأشهر الحرم، فلم يكن العرب الذين يعتمدون في حياتهم على الرعي والرحلة في حاجة ماسة إلى الكتابة، إذ كانوا يعتمدون في تسجيل أحداثهم على الرواة، كما كانوا يعتمدون على الخطابة. ولقد كان لتعاليم الإسلام الكريمة التي رفعت من قيم العلم ومن قدر العلماء وحثت على التعلم فضل كبير في النهوض بالخط، كما كانت حاجة الناس إلى تدوين القرآن الكريم وقراءته من أهم الأسباب التي أدت إلى تأسيس أول مدرسة لتعليم القراءة والكتابة، بعد غزوة بدر الكبرى حيث اشترط الرسول – صلى الله عليه وسلم – لفكاك الأسرى من أهل مكة القراء تعليم بعض الغلمان من المسلمين القراءة والكتابة. وتعتبر الحجاز بذلك من أول مراكز العناية بالكتابة العربية لأنه يرجع الفضل إليها في تطوير الكتابة النبطية إلى صورتها العربية.

إن الخط الذي وصل إلى العرب قبل الإسلام من ديار النبط يشار إليه في المصادر العربية بعدة أسماء منها: الخط الأنباري والخط الحيري والخط المدني والخط المكي وهي خطوط أتقنها العرب قبل الإسلام وهي مشتقة من الخط النبطي ثم برع العرب بعد الإسلام في الخط البصري والخط الكوفي.

ولما أصبحت العراق مركزا للنشاط السياسي في خلافة عمر وعثمان وعلي انتقلت هذه الخطوط إلى البصرة والكوفة وعرفت بأسماء المدن الهامة التي جاءت منها ثم عرفت كلها في العراق باسم " الخط الحجازي " وفي مدينة الكوفة اعتنى الناس بتجويد نوع من الخط وهو الخط الكوفي وانتشر هذا الخط اليابس في أرجاء العالم الإسلامي وفي نفس الوقت بقي الخط الحجازي اللين الذي اشتقت منه خطوط لينة أخرى يستعمل في الدواوين لمرونته وليونته وسرعة الكتابة به.

ويعتبر ابن مقلة (ق3 هـ) هو أول من وضع للحروف مقاييس وأبعاد بالنقط وارتقى الخط العربي على يده حتى بلغ نحو العشرين نوعا واستخلص منها ابن مقلة ستة أنواع هي: الثلث والنسخ والتوقيع والريحان والمحقق والرقاع.

ولما ظهر أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب في أوائل القرن 5 هـ أكمل قواعد الخط.

ومن أهم الخطوط العربية المستعملة في الكتابات على العمائر والفنون:

1 - الخط المغربي.

دخل الخط العربي للمغرب مع الفتح الإسلامي، ويبدو أنه أخذ يتحسن من أوائل المائة الثانية للهجرة، والغالب أن الخط المغربي كان في أول الأمر ذا طابع شرقي محض، تأثرا بكتابة الفاتحين العرب، ثم أخذ يميل إلى الكوفي والنسخي المستعملين معا في هذه الفترة بالقيروان.[3]

وفي مطلع القرن الرابع الهجري، كان طلاب الفقه في مدينة القيروان لا يزالون يدرسون نصوصا كتبت بالخط الكوفي، ورغم استعمالهم للخط الكوفي إلا أنهم بدءوا منذ ذلك الوقت

يلطفون من حدة هذا الخط الذي يقوم على زوايا دون تسطيرها بسهولة وسرعة كافية، ويتمثل هذا التحول الذي ظهر على استحياء في قطعة من مدونة سحنون المكتوبة عام 334هـ / 946م، ليظهر بوضوح في قطعة اكتشفت مع القطعة السابقة في جامع القيروان، وتعتبر حروف الكتابة في هذه القطعة تعبيرا صادقا عن التحول المباشر من الخط الكوفي إلى الخط المغربي[4]

[3] محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية - صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة - منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط - سلسلة بحوث ودراسات، رقم 2، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، 1991، ص17.

[4] بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص 248.

وعلى الرغم من أن المشارقة أخذوا بالإصلاح الذي قام به ابن مقلة في الخط وقللوا من استخدام الخط الكوفي، فإن المغاربة ظلوا يستخدمون الخط الكوفي ثم ليّنوه وخففوا من حدة زواياه، ومنذ ذلك الحين تمسك المغاربة بهذا النوع من الخط الذي يتيح الكتابة السريعة العادية ذات الاستعمال العام ولذلك لم يروا ضرورة لتبني الكتابة الجديدة.[5]

كما استعمل المغاربة نقطة الإعجام، مع تنقيط حرف القاف بنقطة واحدة من أعلى و حرف الفاء بنقطة واحدة من أسفل، واستخدموا كذلك الشكل لتوضيح حركات الإعراب تبعا لطريقة خليل بن أحمد[6] ثم زادوا في التأنق إذ سطروا بعض الحروف، وخففوا أشكال البعض الآخر المثقلة.[7]

وكان انتشار الحرف المغربي في العالم الإسلامي موافقا للغاية لانتشار مذهب مالك ففي المناطق التي انتشر فيها المذهب مثل الأندلس والمغرب والسودان الغربي، كان الخط المغربي هو المستخدم فيها.

لا يزال تحقيق الاختلافات الموجودة في الكتابة المغربية من الصعوبات التي يواجهها الباحث، إذ لم يقدم أحد من الباحثين المتخصصين في ذلك المجال من الدراسات معلومات دقيقة حول مظاهر الاختلاف في الكتابات المغربية أو الصفات التي تميز كلاً منها ويمكن حصر هذه الكتابات في أربعة خطوط معروفة هي: الخط القيرواني والخط الأندلسي والخط الفاسي والخط السوداني.

ومن المميزات العامة للخط المغربي، أنه يتميز بحواشي السطر المدعوكة عوضا عن الجوانب الحادة والجلية كجوانب النسخي كما لا يخط أبدا السنينة العمودية التي تنهي

[5] نفسه، ص 249.

[6] شريفي محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص 245.

[7] بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص249.

ص وض في وسط الكلمة أو في أولها، وتتخذ أواخر الحروف بصفة عامة امتدادا مبالغا فيه خاصة حروف: س- ش- ظ- ل- م- ن وقلما توضع النقط على الحروف النهائية ف- ق- ي، كما تزال في معظم الأحيان نقط التاء المربوطة المفردة، كما أن بعض الحروف تحتفظ بالشكل الكوفي بحيث يظهر الفرق بين معظم الحروف الأخرى وبين الكوفي ضعيفا [8]

ولقد سبق الأندلسيون أهل المغرب في تبني الخط اللّين في التدوين ثم في المصاحف ولم كثر وفودهم إلى المغرب انتشر معهم خطهم الأندلسي واستخدم الخط الأندلسي أحيانا في الجزائر العاصمة لأن الكثير من أهلها ينحدرون من أصل أندلسي ولكنهم لم يقلدوا الخط الأندلسي تقليدا كاملا فخط الجزائر استقى الكثير من مقوماته من حدة الفاسي[9] وللإشارة فإن الخط الأندلسي أخذ يطغى على القيرواني منذ العصر المرابطي حيث ظهر في هذا العصر خطاطون على الطريقة الأندلسية بين مغاربة وأندلسيين استوطنوا المغرب.[10]

ويتميز الخط الفاسي بدوره في حروف النون والياء في آخر الكلمة، والواو واللام والصاد والجيم والمتشابهات بها مستديرة وبهذه الاستدارة تختلف ع الخطوط الأخرى وتمتاز بها كتابة

المغرب الأقصى، كما أن هذا الخط يتصف بالبساطة، وهو مقتبس عن الخط الأندلسي أيضا، وهو مع عدم شدته وعدم تساويه ذو انتظام في رصف الحروف.[11]

[8] بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص249، 250.

[9] نفسه، ص250.

[10] محمد المنوني، المرجع السابق، ص21.

[11] حبيب الله فضائلي، المرجع السابق، ص140.

2 - خط النسخ:

يعتبر خط النسخ من الخطوط العربية الأصلية المنحدرة من الخط الآرامي مرورا بالخط النبطي، واستقر بمكة والمدينة، حيث عرف قبل عصر النبوة باسم " الخط الحجازي"[12] وسمي بالنسخ، لأن الكتاب كانوا يستعملونه في نسخ المصاحف والكتب و المؤلفات[13] وهناك من العلماء من يقول أن الوزير ابن مقله و أخاه أبا عبد الله هما أول من نقل هذا الخط من خط الكوفة و أطلقا عليه اسم " البديع"، ثم جود و حسن في عصر دولة المماليك في مصر، ولكن خط النسخ لم ينفصل عن الخط الكوفي بل إن الخطين الكوفي و النسخي تلازما مما يدعو إلى الاعتقاد بأنهما من أصل واحد[14] واتبع الخطاطون في خط النسخ معايير و قواعد معينة يضبط بها الخط و ذلك بتحديد نسب هندسية و قياسية لأشكال الحروف، و هو نظام و ضوابط وضعت على يد ابن مقله في نهاية القرن الثالث الهجري، فهو أول من جعل للخط معايير يضبط بها، إذ نسب كل الحروف إلى حرف الألف التي جعلها مقياسا أساسيا، بحيث حدد طولها بعدد من النقط، أي أنه ناسب بين طولها و عرضها و على هذا الأساس وضع ابن مقله نظاما يضبط به أصول الخط[15] و النسبة تخضع لعرض ذلك القلم القصب الذي يكتب به، بحيث يصبح طول الألف أربع نقط، و يجعلها بعضهم خمسة و على هذا المنوال تنقط سائر الحروف.[16]

وهكذا جرى خط النسخ على نسبة ثابتة فاستعمل في كتابة المصاحف، وانتشر في شرق العالم الإسلامي وغربه، وأصبح الخط المفضل في الاستعمال، و نسخت به المصاحف الشريفة، و لم ينته القرن السادس الهجري حتى تقلّصت أهمية الخطوط الكوفية سواء في كتابة المصاحف أو في النقوش المسجلة على جدران المباني[17]

[12] إبراهيم ضمرة، الخط العربي-جذوره وتطوره، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار، الأردن، 1988، ص 96.

[13] محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية 1939، ص 95.

[14] إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 96، 97.

[15] حسن الباشا، الخط الفن العربي الأصيل، ضمن حلقة بحث: الخط العربي، ص 28.

[16] إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 97.

[17] إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 97.

و شهد خط النسخ ازدهارا و تطورا في القرن السابع الهجري (13م) على يد ياقوت المستعصمي الذي لقب بقبلة الكتاب للدور الهام الذي لعبه في مجال تحسين الخط و تطويره، و توفي ببغداد عام 698هـ- 1298م[18] و هو الخطاط الذي اتخذه العثمانيون إماما لهم في مجال الخط، و من العوامل التي ساعدت على انتشار الخط النسخي في العالم الإسلامي بوجه خاص و إقبال القوم على استخدامه مكان الخط الكوفي بالإضافة إلى جمال صورته أنه لين طيّع يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة تفوق خط الثلث، و ذلك لصغر حروفه، و تلاحق مداتها دون إهمال لتناسق الحروف[19] و منه تفرعت أنواع كثيرة من الخطوط نذكر منها الطومار، و الثلث و التعليق و غيرهما[20] و لكن من الملاحظ انتشاره في المغرب الإسلامي كان أقل بكثير منه في المشرق.

3 - خط الثلث:

يعتبر خط الثلث خطا متطورا عن خط النسخ، وقد سمي كذلك لأن حجمه يساوي ثلث حجم النسخ الكبير الذي كان يكتب به على الطومار، والطومار هو الدرج أو الملف المتخذ من البردي أو الورق، وكان يتكون من عشرين جزءًا تتلاصق أفقيا ثم يلف على شكل

أسطواني، وكان يستعمل في الكتابة عليه الخط النسخي الكبير، الذي عرف بخط الطومار و الذي تولد منه خط الثلث.[21] ففي أواخر الدولة الأموية استنبط قطبة المحرر خطا من الخطين الكوفي والحجازي، واخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها وقلم الطومار وهو أصغر أنواع الجليل.[22]

ويقال أن ابن مقلة هو الذي اخترع خط الثلث ولكن الذي اخترعه هو ابراهيم الشجري (ت:200 هـ) وقد بين ذلك القلقشندي حيث قال " وإبراهيم الشجري وكان أخط أهل دهره

[18] مايسة محمود داود، ،الكتابات العربية على الأثار الأسلامية من القرن الاول حتى اواخر القرن الثاني عشر للهجرة،(7-18م)،الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة العربية، 1991، ص58.

[19] إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 98.

[20] حسن الباشا، الفن العربي الأصيل، ص 29.

[21] محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية ...، ص 175.

[22] حبيب الله فضائلي، أطلس الخط والخطوط، ترجمة: محمد التونجي، مكتبة دار طلاس، دمشق، 1993 ص228.

- أخذ عن إسحاق (إسحاق بن حماد) - الجليل واخترع منه قلما أخف منه سماه قلم الثلثين ثم اخترع من قلم الثلثين قلما سماه الثلث.[23]

وقلم الثلث قسمان هما: ثقيل الثلث الذي حجمه يساوي ثمان شعرات وخفيف الثلث و هو أدق منه قليلا، و الفرق بينهما أن الثقيل تكون منتصباته و مبسوطاته قدر سبع نقط على ما في قلمه، أما الخفيف فيكون مقدارها خمس نقط.

وقد رسم خط الثلث على صورتين: صورة المحقق و صورة المطلق، أما صورة المحقق فهو خط الثلث الذي تحققت حروفه و تقيدت بالنسبة الفاضلة و تكون مفرودة على السطر، مع عدم تزاحم الحروف فاستتبع ذلك رسم بعض الحروف بالصورة المرسلة مثل الراء و الواو و ما شابههما، أما صورة المطلق فيقصد بها خط الثلث المطلق الذي لم ترسم حروفه محققة و كتبت دون التقيد ببعض النسب و القواعد و هكذا أصبحت لخط الثلث صفتان هما المحقق والمطلق، ولا يمكن اعتبارهما نوعين له بل صفات له وبالإضافة إليهما هناك التراكيب، الجلي والتشابك والزخرفي والهندسي والمتعاكس وهي صفات أيضا لخط الثلث لا أنواع له، أما أنواع الثلث فتتمثل في الثلث الثقيل والنصف و الثلثان.[24]

4 - خط النستعليق الفارسي:

هو من الخطوط التي شاع استخدامها في بلاد الفرس المشتقة من خط النسخ وخط التعليق لذلك عرف بخط " نس تعليق " أو نسخ تعليق لأنه يجمع في سماته بين الخطين وان كان يتميز بأنه أكثر بساطة وليونة وأكثر قصرا في كاسات حروفه وأسرع في التنفيذ في كتابته من خط التعليق لذلك كتبت به المخطوطات ودواوين الاسفار الفارسية.[25]

وقد شاع انتشار الخط نستعليق على المخطوطات الايرانية في القرنيين الثامن والتاسع الهجريين،(الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين). ويرجع الفضل ايضا في تجويد خط

[23] فوزي سالم عفيفي، خط الثلث - تطوره جمالاته ووسائل تجويده - مكتب ممدوح، القاهرة، 1991، ص9.

[24] فوزي سالم عفيفي، المرجع السابق، ص276.

[25] مايسة محمود داود،المرجع السابق، ص61.

نستعليق لجهود بعض الخطاطين الايرانيين وعلى رأسهم الخطاط الايراني مير علي التبريزي.[26]

ويتميز هذا الخط الذي عرف عند العثمانيين برفعته ومظهره الظريف، وقد بدأ في التطور في غرب إيران في منطقة ادربيجان التي يقطنها أجناس دو اصول تركية وظهر هذا الخط على مسرح التاريخ بعد خط الأقلام الستة واستخدم بشكل خاص في الدواوين الشعرية.[27]

وبدأ هذا الخط يبرز في القرن الرابع عشر الميلادي (القرن الثامن الهجري)، وظهر بجميع خصائصه وقواعده في أوائل القرن الخامس عشر ميلادي (القرن التاسع الهجري). وقد حدد قواعده مير علي التبريزي (ت 850هـ/1446م) . أما مير عماد القزويني قد اوصل بخط نستعليق الى الدروة.[28]

[26] نفسه، ص 61، 62.

[27] علي آلب أرسلان، الخط العربي عند الأتراك،ترجمة: سهيل صابان، مجلة الدارة، العددالأول، دارة الملك عبد العزيز المملكة السعودية،1468هـ ،ص230.

[28] نفسه، ص230.

نماذج من أنواع الخطوط المستعملة في الجزائر

خط النسخ

ثكنة الخراطين - 1713 م -

قصر الجنينة - 1710 م -

الخط الفارسي

برج الانجليز

- 1669 م -

ثانيا : علم المخطوطات

1. تعريفات ومفاهيم حول صناعة المخطوط

1.1. تعريف المخطوط لغة:

المخطوط لغة مأخوذ من لفظة خط يخط بمعنى كتب أي صور اللفظ بحروف هجائية.

2.1. تعريف المخطوط اصطلاحا:

المخطوط هو كل ما كتب بخط اليد، سواء كان رسالة أو وثيقة أو عقدا أو كتابا وقد درجت كلمة مخطوطات على الكتب القديمة تحديدا والتي يمكن القول بأنها تمثل وحدة زمنية تاريخية كاملة تحدثنا عن حياة الأجيال السابقة، بمختلف أشكالها الفكرية والعلمية والثقافية والفنية، ويوضح ذلك نوع الورق المستخدم والأحبار، وطريقة التجليد وأشكال زخارفه وغير ذلك من خصائص عصر صناعة كل مخطوط.

والمخطوط هو كل كتاب لم يتم طبعه، ولا يزال بخط المؤلف، أو أخذت عنه صور شمسية لتودع كل صورة منها إحدى المكتبات العامة التي تهتم بجمع المخطوطات.

والمخطوط من الألفاظ العربية المتأخرة، فكلمة مخطوط التي نستخدمها اليوم للدلالة على الكتب المكتوبة بخط اليد والتي خلفها القدماء وهي ترجمة لكلمة manuscrit والتي لم تستخدم بهذا المعنى إلا في عام 1594م مقابل كلمة مطبوع، وذلك بالرغم من ورود هذا اللفظ في بعض المعاجم القديمة حيث ورد أول ذكر له عند الزمخشري المتوفى سنة 538 هـ / 1143 م في كتابه " **أساس البلاغة** " يقول في مادة خطط: " خط الكتاب بخطه .... وكتاب مخطوط " ثم تسكت المعاجم عن ذكر هذا اللفظ حتى يقابلنا مرة أخرى عند محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة 1205 هـ / 1790م في كتابه " **تاج العروس** " يقول في نفس المادة: " كتاب مخطوط أي مكتوب فيه "[29]

[29] فضل جميل كليب، فؤاد محمد خليل عبيد، المرجع السابق، ص29.

أما المعاجم والموسوعات الأجنبية فقد أوردت تعريفات متعددة للمخطوط فقد عرفته librarian ‘s glossary بأنه عبارة عن وثيقة من أي نوع أو نص موسيقي أو أعمال أدبية مكتوبة باليد، أما الموسوعة الأميركية فعرفت المخطوط بأنه المكتوب باليد في أي نوع من أنواع الأدب سواء كان على ورق، أو على مادة أخرى، ما عدا المواد المطبوعة وكل المخطوطات المتوفرة لديهم بما في ذلك المخطوطات المكتوبة على جلود الحيوانات أو على الورق، أما موسوعة علم المكتبات والمعلومات فقد ورد فيها التعريف كما يلي: " إن لفظة مخطوط في الولايات المتحدة تطلق على كل المواد المكتوبة باليد، ويتضمن هذا الأمور المكتوبة على الألواح الطينية القديمة والحجارة ومخطوطات العصور المتوسطة، وعصر الثورة سواء كانت على شكل كتاب أو كراسة." [30]

ومن هنا كان لهذه المخطوطات أهمية كبرى وفوائد كثيرة على البشرية التي تسعى إلى معرفة هذا العلم وهذا الفن الإسلامي، فالكثير من العلوم الحالية المتطورة انبثقت من علوم تلك المخطوطات، وما وجدت طريقها للتطور والنماء إلا بالاعتماد على تلك المخطوطات.[31]

3.1. المكونات المادية للمخطوط.

يدخل في تكوين المخطوط عدة مواد، كالجلد والورق والأحبار وأدوات الكتابة، وقد اختلفت طبيعة هذه المواد من عصر إلى آخر وتغيرت حسب التطورات التي طرأت على صناعة المخطوطات، ويشمل المخطوط أربعة مواد رئيسية هي كالتالي:

- مواد يكتب عليها.
- أدوات الكتابة.
- مواد الكتابة.
- مواد التغليف.

[30] نفسه، ص29، 30.

[31] بسام الداغستاني، المخطوط العربي الإسلامي - حفظه ومعالجته وترميمه - الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات، دبي، 2002، ص1، 2.

- **مواد يكتب عليها.**

-العسب والكرانيف: العسب جمع **عسيب**، وهي السعفة أو جريدة النخل حين تجف وينزع خوصها.

-الأكتاف والأضلاع: الكتف، عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان.

- اللخاف والخزف: اللخاف، هي الحجارة البيضاء الرقيقة.

-الرق والأديم والقضيم: كلها أنواع من الجلود فالرق هو - كما يعرفه المبرد - " ما يرقق من الجلد ليكتب فيه " والأديم هو" الجلد الأحمر أو المدبوغ "، أما " القضيم فهو الجلد الأبيض الذي يكتب فيه "

-المهارق: هي صحف بيضاء من القماش، مفردها **مهرق** وهو لفظ فارسي معرب.

-البردي: من الحاصلات الخاصة التي كانت تنبتها مصر وكانت النباتات التي تعمل منها الأوراق البردية تلعب في حياة مصر الاقتصادية منذ عصر الأسرة الوسطى القديمة وحتى انتهاء زراعته نحو نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي.

- ألواح الخشب ولحاء الشجر: استخدم الرومان واليونان قديما لحاء الشجر والخشب المدهون بطلاء أبيض أو المكسو بالشمع، وكتبوا عليها نصوصا قصيرة وعرفه العرب وكتبوا عليه آيات من القرآن الكريم.

-الورق: الورق بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحده ورقة، وجمعه أوراق وجمع الورقة ورقات، وبه سمي الرجل الذي يكتب وراقا.

ويعود فضل اختراع الورق إلى الصينيين حيث تم اكتشافه لأول مرة في عام 105م وكان يصنع من لحاء الشجر وقطع قماش الكتان القديمة، ومع بداية العصر العباسي وفي سنة 133هـ / 750م وعلى أيدي الأسرى الصينيين ممن يعرفون صناعة الورق، قامت أول صناعة للورق في سمرقند، وفي عصر الرشيد (170 - 193 هـ / 786 - 808 م) انتقلت صناعة الورق إلى بغداد. ولقد طور العرب صناعة الورق وخطوا به خطوات واسعة في

طريق الإتقان والجودة، وانتهى استعمال البردي كمادة للكتابة حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي بعد أن غلب استخدام الورق، وقد تعايشا فترة من الزمن قدرت بحوالي نصف القرن.

- **أدوات الكتابة.**

قبل أن يعرف العرب الأقلام كانوا يستعملون أدوات حادة ينقشون بها كلماتهم في الحجارة أو الخشب، وفي بعض الأحيان كانوا يكتبون بالفحم والطباشير أو نوع من الرصاص الذي يجدونه في الصحراء، ثم استعاضوا عن الأدوات الحادة باستعمال أدوات أخرى للكتابة هي:

- الأقلام:

عرف القلم بأسماء كثيرة منها اليراع والمزبر، وكانت الأقلام في بادئ الأمر تتخذ من السعف أو الغاب أو القصب، وكان الغاب أو القصب يقط ويبرى أو يقلم ومن ثمة كان اشتقاق القلم من التقليم أو البري. ومن الأقلام المستعملة:

قلم البوص: وهو يصنع من البوص، وأحيانا يسمى قلم القصب.

قلم الخشب: وهو يصنع من أغصان الأشجار.

قلم العظم: وكان يصنع من العظام الرفيعة.

قلم الريش: وكانوا يأخذونه من ريش الطيور، خاصة ريش الذيل أو أطراف الجناحين.

- الدواة: **آلات الدواة: هي 17 آلة:**

1. المزبر: بكسر الميم وهو القلم أخذا له من قولهم زبرة الكتاب إذا أتقنت كتابته، ومنه سميت الكتب زبرا كما في قوله تعالى: " وإنه لفي زبر الأولين "
2. المقلمة: وهي المكان الذي يوضع فيه الأقلام، سواء كان من نفس الدواة أو أجنبا عنها، وقد لا تعد من الآلات لكونها من جملة أجزاء الدواة غالبا.
3. المدية: تقال بضم الميم وفتحها وكسرها وتجمع على مدى وهي السكين.
4. المقط: بكسر الميم كما ضبطه الجوهري في الصحاح، إلا أنه قال فيه مقطة وينبغي أن تكون صلبة فتمضي القطة مستوية لا مشظية.

5. المحبرة: وهي المقصود من الدواة وتشتمل على ثلاثة أصناف، الصنف الأول هو الجونة وهي الظرف الذي فيه الليقة والحبر، والصنف الثاني هو الليقة، والصنف الثالث هو المداد والحبر.

6. الملواق: بكسر الميم وهو ما تحرك به الليقة.

7. المرملة: واسمها القديم المتربة، يوضع بها التراب الذي تترب به الكتب.

8. المنشاة: وتتكون من الظرف واللصاق.

9. المنفذ: وهي آلة تشبه المخرز.

10. الملزمة: وهي آلة تتخذ من النحاس ونحوه ذات دفتين يلتقيان على رأس الدرج حال الكتابة ليمنع الدرج من الرجوع على الكاتب ويحبس بمحبس على الدفتين.

11. المفرشة: وهي آلة تتخذ من خرق كتان بطانة وظهارا أو من صوف ونحوه تفرش تحت الأقلام وما في معناها مما يكون في بطن الدواة.

12. الممسحة: وتسمى الدفتر أيضا، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش، يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد.

13. المسقاة: وهي آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في المحبرة وتسمى الماوردية أيضا لأن الغالب أن يجعل في المحبرة عوض الماء ماورد لتطييب رائحتها.

14. المسطرة: وهي آلة من خشب مستقيمة الجانبية يسطر عليها ما يحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها وأكثر ما يحتاج إليها المذهب.

15. المصقلة: وهي التي يصقل بها الذهب بعد الكتابة.

16. المهرق: بضم الميم وفتح الراء وهو القرطاس الذي يكتب فيه ويجمع على مهارق.

17. المسن: هو آلة تتخذ لإحداد السكين وهو نوعان أكهب اللون ويسمى الرومي وأخضر وهو على نوعين حجازي وقوصي والرومي أجودها والحجازي أجوده الأخضر.

- **مواد الكتابة: (المداد)**

سمي المداد بذلك لأنه يمد القلم أي يعينه، وكل شيء مددت به شيئا فهو مداد، وسمي الزيت مدادا لأن السراج يمد به، فكل شيء أمددت به الليقة مما يكتب به فهو مداد.

والأحبار في الغالب أصباغ كيميائية معدنية وعضوية مختلفة الألوان، تترك أثرا للنصوص المكتوبة عند استعمالها. وكانت - الأحبار - تجلب من الصين، كما كانت تصنع أيضا في بلاد العرب.

- **مواد التغليف:**

كتب العرب والمسلمون في بداية عهدهم على العسب والحجارة والجلود ثم عرفوا الرق، واشتهرت بعض مدن العراق في إنتاجه لا سيما مدينة البصرة والكوفة، وباستعمال الرق انتقل شكل الكتابة عند المسلمين من الملف إلى المصحف واحتاجت هذه الرقوق إلى غلاف ليحفظها، فأول ما استعمله المسلمون لتغليف صحائف المصحف هو لوحين من الخشب جمعت بينهما أجزاء القرآن، وذلك في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -

وفي العصر الأموي ظل التغليف بنفس المواد التي كانت أيام الخلفاء الراشدين مع إحداث بعض التطورات، وعلى الأغلب أن المخطوطات والمصاحف التي أنتجت خلال هذا العصر كانت مغلفة بلوحين من الخشب قد طعمت بقطع من العظم والعاج أو غلفت بالقماش والجلد، وربما استخدمت صفائح البردي في بعض الأحيان بدلا من الخشب في تغليف الكتب، إلا أنه لم يصلنا من تلك المرحلة أثر مادي من هذا النوع.

وفي العصر العباسي لحقت بفن التجليد تطورات كبيرة من حيث مواد التغليف وكذلك تطور فن الزخرفة على حد سواء، حيث خطى المجلد المسلم خطوة إلى الأمام حين غلف ألواح الخشب هذه بشرائح من الجلد، وتعتبر هذه المرحلة بداية لفن التجليد عند المسلمين.

ومع ازدياد الفتوحات الإسلامية والاختلاط بالأمم والحضارات الأخرى طرأ تغير جديد على مواد التغليف، حيث استعاض المجلد عن الخشب بورق البردي وذلك للكتب صغيرة الحجم، وبقي الخشب والجلد للكتب الكبيرة.

وبعد اكتشاف صناعة الورق وانتشاره بدأت مرحلة جديدة في هذا المجال حيث قام المجلد المسلم باستبدال الخشب بالورق، وقام بصناعة الورق المقوى وتغليف الكتب به.

2. مظاهر الفنون في المخطوط الإسلامي

وتتجلى مظاهر الفنون في المخطوطات الإسلامية في صورها الثلاث الآتية:

- فن الخط والكتابة.
- فن التصوير والزخرفة.
- فن التذهيب.
- فن التجليد.

وهذا الترتيب هو نفسه الذي كان متبعا في صناعة المخطوط، إذ أن هذه الألوان المختلفة من الفنون لم تكن تسير مع كتابة المخطوط جنبا إلى جنب، وإنما كانت تتأخر عنها وتلحق بها، فكان النص يكتب كاملا وكان الخطاط أو الناسخ يعمل حساب الصور فيترك الفراغات اللازمة، وبعد رسم الصور المطلوبة يأتي دور الزخرفة فتستغل ما بقي من فراغات ثم تأتي بعد ذلك العملية النهائية وهي تجليد المخطوط بغلاف يحتوي على الكثير من العناصر الزخرفية.[32]

1.2. فن الخط والكتابة.

كان الخط العربي ذا تأثيرات عديدة في شتى ميادين الآداب والفنون والعلوم، وقدم الخطاطون نماذج إبداعهم لتسجيلها في شتى صنوف الصناعات اليدوية والمباني، ناهيك عن المخطوطات والنسخ التي حفظت تراث الأمة.[33]

وجاء الإسلام حاملا معه العوامل التي فرضت استخدام الكتابة وزادت من ساحة استخدامها اتساعا فاكتسبت الكتابة أهمية كبيرة، وبدأ الخط يعرف تطورا تدريجيا بين الفنون حتى أصبح له مدارسه الخاصة وكتابه ونساخه الكبار، وقد أخذ العديد من الأسماء إذ كان العرب يميلون إلى تسمية الخطوط بمسميات إقليمية تدل على استجلابه منها.[34]

---

[32] بسام الداغستاني، المرجع السابق، ص10.

[33] محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة - من القرن الرابع إلى العاشر الهجري الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1395هـ / 1975م، ص32.

[34] بسام الداغستاني، المرجع السابق، ص10، 11.

فتعددت أسماء الأقلام العربية منذ القرون الأولى، واعتراها التغيير والتبديل، ومن أولى المصادر لهذه الأسماء ما أورده ابن النديم المتوفى سنة 392هـ / 1002م، في كتابه " **الفهرست** " والملاحظ أن أسماء الخطوط تنسب إلى أماكن اختراعها أو تجويدها كالمكي والمدني والكوفي، أو بالنسبة لحجم الورق المستعمل، وقد ينسب القلم إلى الغرض الذي يستعمل فيه، كالطومار والثلثين والثلث والرقاع والتواقيع وخط المصاحف، وأخيرا نسبته إلى أوصافه كالمسلسل وغبار الحلية والمنثور.[35]

وذكر ابن الصائغ المتوفى سنة 845هـ / 1441م نحو ثلاثين قلما، ولكن يبدو أن منها ما هو أوصاف لبعض الأقلام.

وأوفى مصدر وردت فيه أسماء الأقلام بنماذجها ما سطره محمد بن حسن الطيبي في كتابه " **جامع محاسن كتابة الكتاب** " سنة 908هـ / 1503م، وهي ستة عشرة قلما مشرقيا، هي:

قلم الثلث - قلم المنثور - قلم المقترن - قلم التواقيع - قلم جليل الثلث - قلم المصاحف - قلم المسلسل - قلم الغبار - قلم النسخ الفضاح - قلم جليل المحقق - قلم التواقيع - قلم الريحان - قلم الرقاع - قلم الرياشي - قلم اللؤلؤي - قلم الحواشي - قلم الأشعار.[36]

أما أشهر الخطوط المغربية، فهما خطان: المبسوط والمجوهر، ويقصد بالأول القلم الذي كتبت به المصاحف سواء في الأندلس أو المغرب، ويتميز باحتفاظه بحروف يابسة ورثها من الخط الكوفي، أما المجوهر فهو القلم المستعمل في التدوين والمراسلات وتغلب عليه الليونة، ويتميز بميل طوالعه نحو اليمين، وقيل أنه سمي كذلك تشبيها له بالجواهر وتدخل في حروفه التعقيدات والخطف في حروفه والانسياب في عراقاته.[37]

[35] محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق، ص46.

[36] محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق، ص46.

[37] نفسه، ص47.

وعن المدارس الخطية بالمشرق، فالملاحظ أنها تتبع مراكز الخلافة، فمن أهم المدارس المدرسة العراقية التي تجلت في خط ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي، ومنها اشتهر الخط ببلاد فارس وتركيا ومصر وسائر البلاد الإسلامية وعندما انتقل مركز الخلافة إلى مصر في عصر السلاطين المماليك، تجلى فيها أكثر وأجادوا الخط المحقق، وفي آخر القرن السادس الهجري، ظهر في مصحف الأتابكي مظفر بن زنكي بداية النسخ المصحفي، ثم مصحف قونية، فكانت بداية المدرسة التركية التي تمثلت في درويش علي والشيخ حمد الله وحافظ عثمان، في خطي الثلث والنسخ، أما المدرسة الفارسية في خط المصاحف فقد واكبت هذه المدارس بنفس الخطوط من كل عصر، مع انفرادهم بخط التعليق الذي لم يظهر في المصحف، إلا بعض تأثيراته التي يتعرف بها على مصاحفهم عند إغفال ذكر المكان، كما اشتهروا بتجليد المصاحف.

وان عواصم هذه المدارس لم تنفرد وحدها بالإجادة، فقد ظهر من حين لآخر في كل بلاد المسلمين مجيدون أثروا الخط بما أضافوا إليه من تحسينات محلية سرعان ما انتشرت في مراكز الخلافة.[38]

وحاول بعض الباحثين إبراز المدارس الخطية المغربية وذلك بتقسيم الخط المغربي إلى مدارس حسب أمكنة تجويده، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ هوداس، وأشهر المدارس المذكورة التي نسب إليها الخط هي: القيروان وفاس والأندلس والسودان، ويعرف السوداني بغلظ خطه وكبره، ويتميز الأندلسي بجودته وجماله، أما القيرواني فقد طغت عليه المدرسة الأندلسية.

[38] محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق ، ص50.

وقد كانت التطورات الأولى قد خرجت من هذه المدرسة، فانتقلت إلى الأندلس عن طريق المغرب ثم رجعت أكثر ليونة لتحل محل الخط القيرواني اليابس، أما المغرب الأوسط فقد تأثر غربيه بخطوط المغرب أما مدينة الجزائر فتأثرت بالخط الأندلسي لانحدار الكثير من أهلها من أصل أندلسي، وتأثر شرقيه بالخط القيرواني.

ويطبق هذا التقسيم على الكتابات المغربية عامة ولا يحمل على الخط المصحفي المبسوط الذي يمتاز بطابع الجدية والرزانة، تكسوه مسحة من التربيع لا توجد في الأشكال المستعجلة التي تستخدم في أغراض التدوين، ويؤكد ذلك مقارنة خطوط المصاحف بغيرها في غير المصاحف، أو بالتواقيع التي تذيل بها المصاحف.

والحق أن خط المصحف المغربي بصفة عامة لم تحدث به تطورات جذرية، فقد رست كتابته على الخط المبسوط في المدرستين الأندلسية والمغربية، والفروق بين الخطين لا يعدو أن يكون فروق تجويد مع قلة من التأثيرات الطارئة والاستحداثات المحلية غير الجوهرية، علما أن المدرسة الأندلسية أنتجت خطا أكثر تجويدا وأوفر جمالا.[39]

[39] محمد بن سعيد شريفي، المرجع السابق ، ص51.

المظاهر الفنية بالمخطوط

فن الخط العربي

- خط المصحف.
- نظام السطر.
- الشكل والإعجام.
- كتابة سورة الفاتحة.
- كتابة أسماء وتعريفات السور.
- كتابة الآيات.
- كتابة ختام المصحف.

المظاهر الفنية بالمخطوط

فن الخط العربي

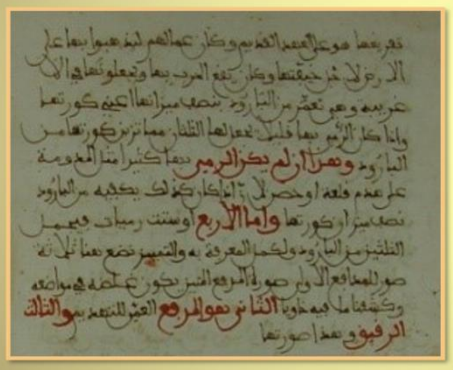

- نوع الخط.
- نظام السطر.
- الشكل والإعجام.
- كتابة الاستهلال.
- كتابة عناوين الأبواب.
- كتابة النص.
- كتابة ختام المخطوط – الحرد -

2.2. فن التصوير والزخرفة.

كانت الحليات والزخارف تقصد لذاتها لتحلية المخطوط وزخرفته وكانت هذه الزخارف في بداية الأمر، مجرد خطوط بسيطة لم تلبث أن تطورت بعد ذلك إلى رسوم هندسية لها أصول وقواعد، وأحيانا تتخذ أشكالا نباتية عرفت فيما بعد ب " **الرقش العربي** " أو " **الأرابسك** " ولقد كانت للزخارف الإسلامية سماتها وخصائصها الواضحة التي تميزها عن غيرها، وانفرد المسلمون بزخارف لم يسبقهم إليها أحد وهي الزخارف الخطية التي قامت على أساس الاستفادة من طبيعة الحروف العربية واستغلالها، لما فيها من استقامة وتقوس وقابلية للزخرفة.[40]

وكانت هوامش بعض الصفحات تحلى بشريط من الكتابة الزخرفية، مثل البسملة أو بعض آيات القرآن الكريم، حيث استحوذ المصحف الشريف على أكبر جهد للفنانين المسلمين فبدأت فنون الزخرفة تدخل على هذا الأخير تدريجيا، وبدأت تأخذ أماكنها في الصفحات الأولى والأخيرة والفواصل بين السور وفي نهايات الآيات، ثم لم تلبث أن تجاوزت هذا النطاق في القرن الخامس، واتخذت شكل إطارات زخرفية تحيط بالساحة المكتوبة من الصفحة، وبمرور الزمن امتدت الزخارف إلى الصفحة كلها متخذة شكل فروع ووريقات نباتية مختلفة تمتد في الفراغات بين السطور.[41]

كما أن الصور والرسوم عرفت طريقها إلى المخطوط العربي، وكانت في أول عهدها بسيطة لا تعدو أن تكون مجرد خطوط تحدد الأشكال يقوم برسمها الناسخ بقلمه بعد الفراغ من كتابة النص دون أن يستعمل فيها أي نوع من الألوان أو الظلال، والتصوير في المخطوطات الإسلامية ينقسم إلى نوعين أساسيين هما:

[40] حسن قاسم حبش البياتي، المرجع السابق، ص97.

[41] بسام الداغستاني، المرجع السابق، ص17.

- الرسومات والتصاوير التي توضح نصوص الكتب العلمية: وهي تصاوير علمية قد تكون خالية من أي إبداع فني، وقد تكون تصاوير تدخل ضمن الإطار الفني إلى جانب أهميتها العلمية، وقد اشتملت هذه المخطوطات على رسوم آدمية وحيوانية ونباتية ومن أشهر المخطوطات العلمية الإسلامية المزوقة بالتصاوير والتي توضح نصوصها مخطوطة " **خواص العقاقير** " ومن تصاويرها رسوم تمثل بعض الأطباء يقومون بإعداد الأدوية أو بإجراء بعض العمليات الجراحية، كما زوقت بعض المخطوطات المتعلقة بالحيوان مثل مخطوطة " **منافع الحيوان** " ومخطوطة " **عجائب المخلوقات** " واهتم المسلمون أيضا بتزويق المخطوطات المتعلقة بالفلك أيضا مثل مخطوطة " **مجموعات النجوم مصور الكواكب الثابتة** " واشتملت على صور لرموز البروج والنجوم والكواكب.

وعلى الرغم من كثرة المخطوطات العلمية المزوقة بالتصاوير إلا أنها ضعيفة من الناحية الفنية، وذلك لأن القصد منها تفسير النصوص وشرحها وتوضيح نصوصها، ودون زيادة أو تزويق، أي أنها جزء لا يتجزأ من النصوص نفسها.

- الرسومات والتصاوير التي تزوق الكتب الأدبية: في هذا النوع من المخطوطات نجد المصور لم يكن يعنى في هذه التصاوير بتوضيح النص بقدر عنايته برسم صورة جميلة ومن هنا كانت المخطوطات الأدبية المزوقة ذات الموضوع الواحد كثيرا ما تشتمل على تصاوير مختلفة من حيث الموضوع والتصميم والأسلوب والطابع، وذلك بحكم اختلاف الفنان أو القطر أو العصر أو المدرسة الفنية، ومن أهم المخطوطات الأدبية المزوقة نذكر: مخطوطة " **كليلة ودمنة** " لابن المقفع، وهي تشتمل على مجموعة من القصص الواعظة تدور حول الحيوان وترد على لسانه، ومخطوطة " **مقامات الحريري** " وهي مجموعة من القصص القصيرة يحكيها أحد الأثرياء العرب، ويذكر في كل منها حادثة شاهدها بنفسه، وقد استهويت هذه المقامات بروعتها الأدبية وجمال أسلوبها ولطف دعابتها فعنى المصورون بتزويقها بالتصاوير وتمثيل قصصها بالرسوم الرائعة التي أجاد بها الرسامين والمصورين.[42]

3.2. فن التذهيب.

[42] بسام الداغستاني، المرجع السابق ، ص20، 21.

تعتبر صناعة تذهيب الكتب إحدى الصناعات المهمة التي عنى بها المسلمون، فقد استخدموا ما عرف بماء الذهب أو مداد الذهب، كما استعملوا صفائح الذهب.

والمصحف الشريف كان الكتاب الوحيد الذي ارتبط به فن التذهيب منذ نشأته، ثم ما لبث المسلمون أن نقلوه إلى الكتب الأخرى، وأغرقوا في استعماله، فكتبوا المصاحف بماء الذهب، وقد تجلت براعة المذهبين في زخرفة الصفحتين الأولى والثانية من المصحف الشريف، وكذلك في الصفحة أو الصفحتين الأخيرتين منه، إذ استخدم ماء الذهب مع الألوان المختلفة، لا سيما اللون الأزرق الفيروزي، وتعتبر تلك الصفحات التي في مقدمة المصحف وفي مؤخرته لوحات فنية يتوفر فيها كل ما يجب أن يتوفر في أي عمل فني رائع من زخرفة، وألوان متناسقة حسب الأشكال الزخرفية، كما بلغت الرسوم الهندسية المذهبة في المصاحف درجة عالية من الإتقان.[43]

وكان التذهيب بالمصحف في أول الأمر مقصورا على أجزاء معينة من الصفحات وعلى بعض الأشرطة التي تفصل بين السطور بعضها ببعض والفواصل بين الآيات وبعض العناصر الزخرفية التي تدل على أجزاء المصحف وأقسامه كالنصف والربع وهكذا ...[44]

واقتصر عموما في المخطوطات على الصفحات الأولى ثم الهوامش وبدايات الفصول والعناوين، وأحيانا يصل التذهيب إلى الصفحة الأخيرة كنوع من التقابل بين بداية المخطوط ونهايته.[45]

ولم يقتصر عمل المذهبين المسلمين على تذهيب صفحات المخطوطات فقط وإنما تعدى الأمر إلى تذهيب الجلود أيضا.[46]

[43] حسن قاسم حبش البياتي، المرجع السابق، ص98.

[44] نفسه ، ص99.

[45] بسام الداغستاني، المرجع السابق، ص22.

[46] حسن قاسم حبش البياتي، المرجع السابق، ص99.

المظاهر الفنية بالمخطوط

فن التذهيب والتلوين

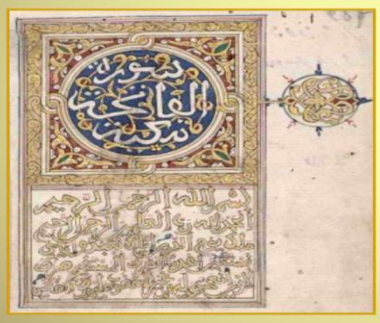

صفحات البداية
- صفحة سورة الفاتحة -

قسمت صفحة سورة الفاتحة إلى قسمين قسم أعلى زين بمربع ذهبي اللون تشغله أنصاف مراوح نخيلية وأوراق تتوسطه دائرة معقودة الأرباع بأرضية زرقاء كتب فيها تعريف السورة

المظاهر الفنية بالمخطوط

فن التذهيب والتلوين

صفحات البداية
- صفحة بداية سورة البقرة -

زينت بإطار مستطيل ذهبي اللون يتوسطه خرطوش بأرضية زرقاء ورد فيها تعريف سورة البقرة بلون ذهبي ويكتنفها من الجانبين نصف عقد مفصص بأرضية خضراء تشغله أنصاف مراوح نخيلية وحبيبات وتشغل الفراغات الأربع نصف مروحة نخيلية.

المظاهر الفنية بالمخطوط

فن التذهيب والتلوين

علامات الحاشية

- علامات تمام الأحزاب وأجزائها
- علامات سجدة التلاوة.
- علامات تعريف السور.

3.2. فن التجليد:

وجدت حرفة التجليد عند المسلمين منذ فجر الإسلام، وكان القرآن الكريم هو أول كتاب يقوم المسلمون بتجليده[47] إذ أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - هو أول من جمع القرآن الكريم بين لوحتين، ويعتبر المصحف الشريف هو أول مخطوط عربي مجلد بالمعنى الواسع لكلمة التجليد حتى منتصف القرن الثاني الهجري، لأنه أول كتاب يصنع على شكل

دفاتر أو كراريس، وأن المصحف هو المخطوط العربي الوحيد الذي لم يمر بمرحلة الدروج أو اللفائف، وإنما بدأ بصورة الكتاب العادي الذي نعرفه اليوم، والكتاب أخذ شكل الدفتر هذا بعد أن ظل فترة طويلة على شكل لفافة.[48]

وقد اعتبر عمل المجلد من فنون المخطوط الإسلامي ومتمما لعمل الخطاط والرسام فوقعت على كاهل المجلد مسؤولية حفظ أوراق المخطوط من التلف والعناية بمظهره الخارجي، بحيث يتلاءم مع قيمة الكتاب ومحتوياته، وفي بعض الأحيان على قيمة الشخص الذي سوف يهدى له المخطوط، ولم تقتصر الزخرفة على الغلاف الخارجي لجلدة المخطوط بل امتدت إلى باطن الغلاف ويبدو ذلك واضحا في المصاحف الشريفة وبعض المخطوطات النفيسة.

وبعد انتشار حضارة المسلمين واختلاطهم مع الأمم الأخرى وتبادلهم للعلوم والمعارف، بدأ مفهوم التجليد يتسع ويتطور ويتغير من عصر إلى عصر إلى أن أصبح فنا قائما بذاته له المختلفة ميز كل عصر منها بخصائص فنية ثابتة كطريقة التجليد والنقش والزخارف والتذهيب.[49]

[47] بسام الداغستاني، المرجع السابق، ص23.

[48] حسن قاسم حبش البياتي، المرجع السابق، ص100.

[49] بسام الداغستاني، المرجع السابق، ص23.

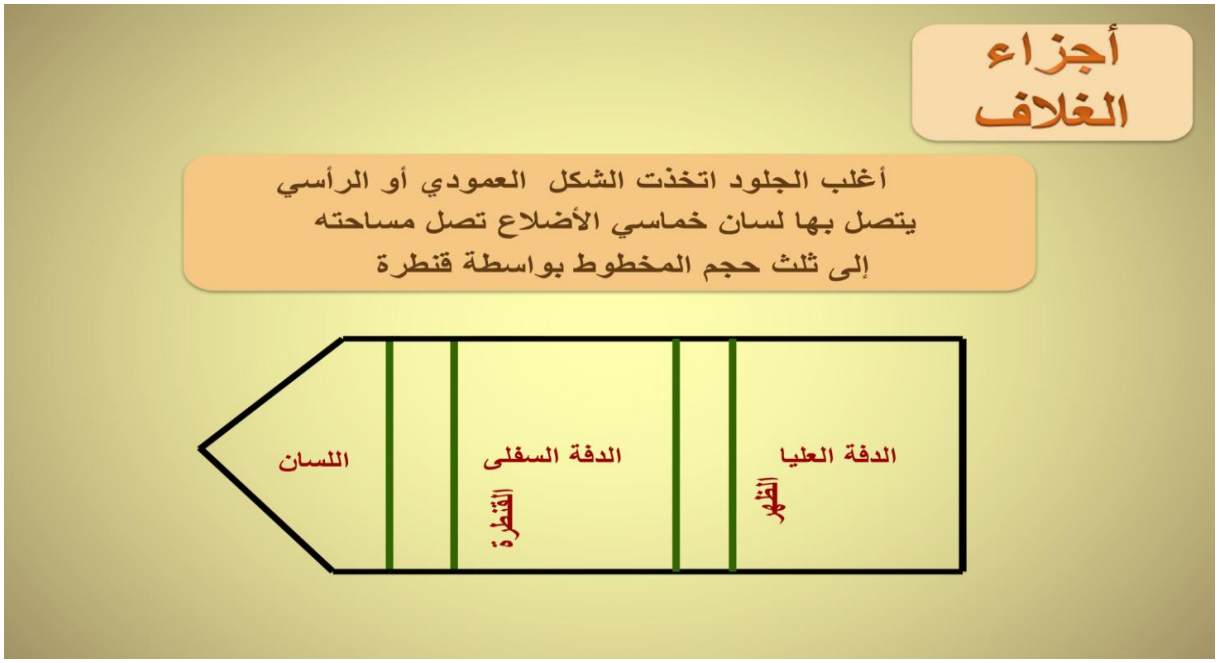
أجزاء الغلاف
أغلب الجلود اتخذت الشكل العمودي أو الرأسي
يتصل بها لسان خماسي الأضلاع تصل مساحته
إلى ثلث حجم المخطوط بواسطة قنطرة
اللسان
الدفة السفلى
القنطرة
الدفة العليا
الظهر

المظاهر الفنية بالمخطوط
فن التجليد
الدفتان
- العليا والسفلى -
زينت الدفة العليا من الخارج بإطار مستطيل تشغله خطوط متداخلة ومتموجة يليه مستطيل آخر تحتله تقسيمات على شكل خراطيش مزينة هي الأخرى بزخارف قوامها فروع وخطوط متموجة.
زينت الدفة السفلى بنفس زخارف الدفة العليا وبنفس التقاسيم وكذا الحليات والزخارف.

المظاهر الفنية بالمخطوط
فن التجليد
السرة أو الترنجة
يكون موقع السرة في وسط الدفتان عموما، ووردت في المصحف على دفتا الغلاف بشكل بيضاوي مزدوجة الحدود زينت بزخارف الرقش العربي ينبثق من أعلاها وأسفلها خطان مزدوجان بلون ذهبي وكذا من جوانبها خطوط أخرى على شكل سنابل.

المظاهر الفنية بالمخطوط
فن التجليد
رباط الركن
زينت الأركان بربط على هيئة كوابيل متموجة شغلت بنفس العناصر الزخرفية التي احتوت عليها السرة المركزية. كما تجدر الإشارة إلى تشكيل وحدة زخرفية بين الإطارين تمثلت في خراطيش وأشرطة على هيئة مثلثات زينت بنفس زخرفة الإطارين

- **طرق التجليد:**

➢ **تجميع الملازم:**

حيث يتم تجهيز الملازم لتصبح نسخة كاملة، وهي عملية دقيقة يؤدي الخطأ فيها إلى وضع ملزمة مكان أخرى، وهذا يؤدي بدوره إلى عدم تسلسل الفكرة أو تتابع موضوع الكتاب.

➢ **الفرز:**

يلي الفرز عملية الجمع للتأكيد من تسلسل الملازم في الكتاب كله، وتسلسل الأوراق داخل الملزمة الواحدة، ويعتمد الفرز على أرقام الصفحات والعلامات في ذيل هامش كل صفحة تبدأ بها الملازم.[50]

➢ **تجهيز الملازم للخياطة:**

وأول ما يبتدئ به المسفر أو المجلد بعد شق كراريس الكتاب بالمنشار داخل المكبس (الزيار) هو الخياطة بالمرمة حيث يعقد خيطين من القنب أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة حسب حجم الكتاب.[51]وبعد الفرز الدقيق تكبس الملازم مبدئيا بضغط خفيف لفرد وتتطابق أورقاها ثم يحدد أماكن الخياطة على الكعب باستخدام زاوية خاصة ويتم التحديد بعد طرق الملازم على كعبها ثم على أحرفها الأمامية فتصبح الملازم في استواء كامل من جهتي الكعب وأمامية الكتاب.[52]

➢ **الخياطة:**

وتتم الخياطة بضبط أشرطة أو دوبار الشدة مع علامات الخياطة على الكعب، ثم تؤخذ الملازم واحدة من نهاية الكتاب وتثبت في الوضع الصحيح على الشدة وتوضع اليد اليسرى في وسط ملزمة الكتاب، ونبدأ بالخياطة من اليمين إلى اليسار مع ترك ما يقرب من 10 سم من الخيط خارج الملزمة الأولى.[53]

---

[50] مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص167.

[51] السعيد بنموسى، تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب من عصر الموحدين إلى عهد الشرفاء، 1996، ص90.

[52] مصطفى السيد، المرجع السابق، ص168.

[53] نفسه، ص169.

- **اللصق والتشطيب:**

بعد حياكة الكعب يرفع الكتاب من الشدة الخشبية وتقص الأشرطة أو الدوبار مع ترك زوائد حوالي 5 سم من الجانبين، ويتم دق الكعب بالشاكوش للتخلص من الفراغات التي قد توجد بين الملازم، ثم يتم تثبيت البطانة بالتلحيس باللصق النشوي مع الورقة الأولى من الملزمة الأولى، ثم البطانة من الجهة الثانية للكتاب، بتلحيسها بالورقة الأخيرة من الملزمة الأخيرة.[54]

- **التغليف:**

يشمل التغليف تفصيل كرتون الغلاف وتثبيته وكسوته،[55] ويعني بالدفف ألواح من الكاغد الذين يكسونهم بالجلد على الكتاب[56]، ويتم لصق الورق المقوى (الكرتون) المقطع بحجم الكتاب بواسطة الصمغ للغلاف العلوي والغلاف السفلي واللسان ووصلة اللسان، أم الكعب فيترك بدون لصق ورق مقوى حيث يتم لصقه بجلدة الكتاب مباشرة، ويراعى في الأغلفة الداخلية للمخطوطات أن تتكون من ثلاث طبقات على الأقل من الورق المقوى. ولعمل دفة اللسان يؤخذ قدر نصف الكتاب من دفة ثالثة ويقص منها لسان للكتاب ويؤخذ ما بقي من النصف الباقي لعمل قنطرة اللسان وهي الحامل بين الدفة اليسرى وبين اللسان، وعادة تكون بقدر سمك الكتاب، كما يجب أن يلقى طرف اللسان في وسط الكتاب.[57]

- **تغليف دفوف المخطوط:**

يعتبر الجلد نوعا من أنواع البروتين يعرف بالكولاجين والدباغة هي عملية تجهيز الجلد ليصبح طاردا للماء ومقاوما للتحلل بالفطريات ومتعادل بينما يحتفظ بليونته مدة طويلة،

[54] نفسه، ص170.

[55] مصطفى السيد، المرجع السابق، ص172، 173.

[56] أبو العباس أحمد بن محمد السفياني، المصدر السابق، ص5.

[57] ميرفت عز الدين، المرجع السابق، ص85، 86.

وأصلح أنواع الجلود المستخدمة في أغلفة الكتب هو الجلد المراكشي وجلد الخراف والعجول الكبيرة.

- **تجهيز الجلد:**

ويبدأ تجهيز الجلد بالدباغة والذي يختلف فيه دبغ جلد الماعز عن جلد البقر، وبالطبع لم يستعمل الجلد بلونه الطبيعي ولكنه في الأغلب كان يتخذ اللون البني بدرجاته والأحمر.

واستخدمت طرق مختلفة في زخرفة جلود الكتب، من ذلك أن يضغط الجلد أو يختم بالذهب أو بدونه، وكانت الزخرفة بالقص واللصق من الجلد أو الورق المذهب على الأرضية الملونة، عملية تحتاج إلى عناية ودقة، وكثيرا ما اتبعت في زخرفة جلدة الكتاب من الداخل.[58]

- **طرق تنفيذ الزخرفة على الجلود:**

استخدمت طرق مختلفة في زخرفة جلود الكتب، من ذلك أن يضغط الجلد أو يختم بالذهب أو بدونه، وكانت الزخرفة بالقص واللصق من الجلد أو الورق المذهب على الأرضية الملونة، عملية تحتاج إلى عناية ودقة، وكثيرا ما اتبعت في زخرفة جلدة الكتاب من الداخل.[59] والزخارف الموجودة على جلدة الكتاب وبطانته فقد نفذت بطرق متطورة مثل القطع أو التفريغ على أرضية من الحرير الأزرق أو الأخضر والضغط بالأختام أو القوالب الساخنة، واستخدم التذهيب في معظم الزخارف وخاصة المفرغة منها فضلا عن استخدامه مضغوطا على بعض الأغلفة، واستخدمت طرق كثيرة في التذهيب منها الضغط بالذهب المصهور أو الضغط بصفائح الذهب تحت القوالب الساخنة المنقوشة، وكذلك وضع تلك الصفائح على الزخارف المضغوطة وإعادة الضغط عليها، وفي أواخر القرن التاسع الهجري استخدم التذهيب بالفرشاة.[60] ومثلما تنوعت الأشكال الزخرفية التي تزين غلاف

[58] ديماند.م.س، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة: أحمد فكري، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1958، ص86.

[59] نفسه، ص86.

[60] أيمن فؤاد السيد، المرجع السابق، ص44.

المصحف تنوعت الأساليب الزخرفية المنفذة بطريقة الضغط البارز والغائر والبسيط، وقد ذهبت بسائل الذهب الأشكال الزخرفية المنفذة بطريقة الضغط، هذا إلى جانب استخدام الفرشاة في تذهيب العناصر الزخرفية المنفذة على الجلد مباشرة دون الاستعانة بالقوالب الزخرفية الساخنة ومنها الوحدة الزخرفية الشائعة على الأغلفة الجلدية المكونة من المتن والإطار.[61] واستخدمت شرائح الجلد في كسوة الأغلفة الورقية وزخرفت هذه الشرائح الجلدية بالضغط أو الختم أو التثقيب، كما استخدمت أيضا طريقة القطع، ومن الطرق التي كانت تستعمل في تغليف الكتب وورثها العثمانيون كذلك طريقة القالب وطريقة الورق المضغوط المدهون باللاكيه.

أما بطانة المخطوط فكانت تتم زخرفتها قبل قصها بقدر الكتاب، واستخدم في زخرفتها قوالب خاصة ذات بروز بعد تسخينها ويبدو أنها كانت قوالب كبيرة الحجم تتسع لضغط زخارف من وحدات وعناصر زخرفية كبيرة، بعكس الغلاف الخارجي الذي كان يتم تقسيمه إلى متن وأركان وإطار ولسان، يحتاج كل منها إلى نوع خاص من القوالب لاستخدام وحدات زخرفية متكررة و متتابعة، وكانت نفس الوحدات الزخرفية تتكرر في المتن والإطار واللسان، ولكن في أحيان أخرى اختلفت زخرفة اللسان عن زخارف العناصر الأخرى.[62] ولقد استخدم الفنان أساليب زخرفة الجلود والمتمثلة في التمحيط، والأختام، والتلوين، والتفريغ، والأبليك والتذهيب:[63]

- **طريقة التمحيط:**

يعني الزخرفة برسوم مطبوعة بآلات محماة (ساخنة) بدون ألوان ويرجح أنها تعني تنفيذ الزخرفة يدويا بدون أختام بتحديد مكانها على الغلاف ثم إعادة تحديدها بآلات بسيطة.[64]

[61] شادية الدسوقي، المرجع السابق، ص207.

[62] أيمن فؤاد السيد، المرجع السابق، ص44.

[63] ميرفت عز الدين، المرجع السابق، ص66، 67.

[64] نفسه، ص67 - 69.

والتمحيط يعطي تأثير الضغط غير عميق على الجلد بواسطة أداة من الخشب لها سن مشطوف وعريض نوعا ما، تمسك باليد بحيث تكون الأداة عمودية على سطح الجلد ويحركها الصانع عدة مرات وهو ضاغط على الجلد في شكل خطوط وتبعا لمقدرة ضغطة يعطي التأثير المرغوب فيه، فإذا كان الضغط ضعيفا يكون التأثير غير عميق وفاتح اللون، وإذا كان الضغط قويا أو متكررا يعطي تأثيرا عميقا نوعا ما له لون داكن حتى أنه يكون على الجلد غير المصبوغ ذا لون بني قاتم، وتفرض طبيعة الأداة الخشبية نوع الزخارف المنفذة بها حيث أنها لا تتحرك إلا في خطوط مستقيمة، ولذا فهي مناسبة للتصميمات الهندسية.

ويعتبر أسلوب التمحيط من الأساليب الزخرفية البدائية على الجلد، وربما كان من أول الأساليب المستخدمة في زخرفة الجلود، والتي أوحت بطرق الضغط المختلفة بعد ذلك ويستطيع هذا الأسلوب أن يخرج تصميمات هندسية لا حصر لها، كما أنه يمكن التوليف بينه وبين غيره من الأساليب الزخرفية.

وكان الفنان يقوم بتقسيم الصفحة بالطول والعرض لتحديد مركزها بل قد يرسم لها كروكيات مبدئية ثم يعيد عليها. وبالإضافة إلى استخدامات تلك الطريقة فقد اشتركت أيضا في تنفيذ طريقة معينة لزخرفة الجلد بلصق قيطان أو دوبار سمك ثلاثة مليمتر منقوع في الغراء على الدفوف الخشبية للكتاب، وبعد جفافها وصلابتها كانت الكسوة الجلدية تغرى وتثبت فوقها ويضغط عليها فوق الجلد بالآلة السابقة فتتضح علامات الحبل بارزة بالشكل المحدد على الخشب بخط واحد أو العديد من الخطوط، وقد استخدمت هذه الطريقة الأخيرة في صناعة المشغولات الجلدية أيضا.[65]

- **طريقة الضغط بواسطة الختم أو القوالب:**

لقد كانت تتم الزخرفة بطريقة الضغط بالأختام قبل تركيب الكسوة الجلدية على الكتاب، وهما نوعان:

[65] ميرفت عزالدين،المرجع السابق، ص67 ،68.

- الضغط باستخدام القوالب الباردة: تتم هذه الطريقة والجلد مبلل، وهي عبارة عن آلات معدنية بسيطة تنتج الرسوم الهندسية ورسوم الفروع النباتية.

- الضغط باستخدام القوالب الساخنة: وهي الطريقة السائدة في التجليد الإسلامي بصفة عامة لإنتاج زخرفة أكثر وضوحا وثباتا، وقد استخدمت من قوالب منفصلة تنتظم في صفوف الواحد بعد الآخر لإنتاج عناصر ووحدات متتابعة، وتنفذ والجلد مبلل لأن الجلد المبلل لونه قاتم عن باقي سطح الجلد.[66] وكان المجلدون يضغطون هذه القوالب المعدنية على الجلدة بقوة فتظهر النتوءات الشديدة البروز على شكل العناصر الزخرفية النباتية والحيوانية بل والصور الآدمية أيضا.[67]

- **طريقة التلوين:**

من المحتمل أن أقدم طرق زخرفة الأغلفة الجلدية للكتب هما طريقة التمحيط وطريقة الأختام، وبالرغم من ذلك فقد استخدمت طريقة التلوين بالحبر والرسم في زخرفة الأغلفة.

- **طريقة القطع والتفريغ:**

من أهم الطرق التي شاعت في العهد التيموري، وتتم بوضع طبقتين من الجلد تلتصق إحداهما على الأخرى بعد أن يتم تفريغ الزخارف المطلوبة في الطبقة العليا.[68] وتتم بقطع الزخرفة بالشكل المطلوب في الجلد ثم يلصق على قماش ملون وبعد ذلك يذهبون الخطوط والرسوم.[69] كما تقوم هذه الطريقة أيضا على رسم الزخارف على شريحة الجلد ثم تقطع الرسوم بالسكين، فتبدوا وكأنها قطعة من الدانتيلا وتستعمل هذه الطريقة أكثر ما تستعمل في تزيين الاغلفة من الداخل حتى تكون أقل تعرضا للمس.[70]

---

[66] مرفت عزالدين،المرجع السابق، ص71، 72.

[67] سامح فكري البنا، تجليد المخطوطات في العصور الإسلامية العصر التيموري، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011، ص122.

[68] نفسه، ص118.

[69] ميرفت عز الدين، المرجع السابق، ص73، 75.

[70] ناصر منصور ابراهيم الكحلاوي، فنون تجليد الكتب في العصر العثمانية على ضوء مجموعتي متحف الفن السلامي والمتحف القبطي – دراسة فنية أثرية- دراسات في أثار الوطن العربي،1202.www.pdffactory.com

- **طريقة الأبليك:**

هي كلمة فرنسية تشير إلى استخدام عدة خامات مختلفة ولصقها في عمل فني واحد وقد استخدم هذا الأسلوب على مشغولات مختلفة وعلى جلود الكتب.

- **طريقة التذهيب:**

استخدم في تنفيذ الزخارف على أغلفة المخطوطات في العهد العثماني أسلوب التذهيب بثلاث طرق:

- الطريقة الأولى: وهي لصق رقائق الذهب على الأغلفة الجلدية المراد زخرفتها وذلك بأن يؤخذ القالب المزخرف بالنقوش المطلوبة ثم يسخن على النار ويضغط به على الجلد، وبعد ذلك توضع رقائق الذهب على الزخرفة المضغوطة وتضغط عليها مرة ثانية بالقالب المزخرف.

- الطريقة الثانية: وهي استخدام سائل الذهب في تنفيذ الزخارف وبها يضغط على الجلد بالقوالب الساخنة المزخرفة، وبعد ذلك يضاف على الزخارف المضغوطة في الجلد سائل الذهب بالفرشاة.

- الطريقة الثالثة: وهي باستخدام الفرشاة في تنفيذ العناصر الزخرفية بمداد الذهب على سطح الجلد مباشرة دون الاستعانة بالقوالب الزخرفية الساخنة التي يحدث عنها زخارف بارزة أو غائرة، وينتج عن هذه الطريقة زخارف ملساء نفذت بمداد الذهب على الجلد.[71]

[71] ميرفت عزالدين، المرجع السابق، ص76 - 78.

3. الرقمنة وعلم الكوديكولوجيا

إن الكوديكولوجيا هو العلم الذي يهدف إلى دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية أي أنه يعني بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط والمتمثلة في الورق، والحبر، وفني التذهيب والتجليد وكل ما يحتويه المخطوط من توقيعات وإجازات وأختام.

ومن جهة أخرى فإن عملية الرقمنة تتمثل في نقل الوثيقة على وسيط إلكتروني، وهي تتخذ شكلين أساسيين، الرقمنة بشكل صور والرقمنة بشكل نص، لذلك فهي تعتبر وسيلة فعالة للحفاظ على التراث المخطوط، من جهة ومن جهة أخرى فهي تساهم في الدراسة الكوديكولوجية للمخطوط. وذلك للمعلومات الهامة التي تحتوي عليها قاعدة البيانات من تفاصيل دقيقة تتعلق بمادية المخطوط، بالإضافة إلى الصور الرقمية، علاوة على الأنظمة التي تساعد على إعادة تصور المخطوط الأصلي. خاصة إذا علمنا أنه أصبح اليوم من الصعب الاطلاع على المخطوط نفسه بهدف الحفاظ عليه، والاقتصار على ما يقدم لنا من بطاقات وصور مرقمنة.

ومن خلال هذا العرض سوف نحاول الربط بين علم الكوديكولوجيا، الذي لا يزال علما في بداياته الأولى بالجزائر، وبين الرقمنة التي لا زالت هي أيضا تواجه العديد من الصعوبات، في سبيل الخروج بالتراث المخطوط إلى عالم التكنولوجيا الحديثة. مما يؤثر سلبا على الدارسين الآثاريين المهتمين بأثرية المخطوط.

1.3. تعريف وأهمية الرقمنة.

الرقمنة:"هي شكل من أشكال التّوثيق الإلكتروني بحيث تتم عمليّة الرقمنة بنقل الوثيقة على وسيط إلكتروني، وتتخذ شكلين أساسيين الرقمنة بشكل صورة والرقمنة بشكل نص[72]".

عُرفت الرقمنة كذلك على أنها عملية استنساخ راقية تمكن من تحويل الوثيقة مها كان نوعها ووعائها إلى سلسلة رقمنة " chaine némerique " يواكب هذا العمل التقنى عمل

[72] السيد مصطفى يوسف، 2003، صيانة المخطوط علما وعملا، القاهرة، عالم الكتب، ص. 205

فكري ومكتبي لتنظيم ما بعد المعلومات من أجل فهرستها وجدولتها وتمثيل محتوى النص المرقم

الرقمنة في أبسط أشكالها هي عملية الاختيار والفهرسة وإعادة الصياغة والمشاركة. تُعرف ويكيبيديا الموسوعة الحرة الرقمنة أو **التحويل الرقمي** (Digitizing) بأنه عملية تمثيل الأجسام، الصور، الملفات، أو الإشارات (التماثلية) باستخدام مجموعة متقطعة مكونة من نقاط منفصلة. وتعني أيضا التحول في الأساليب التقليدية المعهود بها إلى نظم الحفظ الإلكترونية، هذا التحول يستدعي التعرف على كل الطرق والأساليب القائمة واختيار ما يتناسب مع البيئة الطالبة لهذا التحول. والتحول إلي الرقمية ليس صيحة تموت بمرور الزمن، بل أصبح أمرا ضروريا لحل كثير من المشكلات المعاصرة من أهمها القضاء علي الروتين الحكومي وتعقد الإجراءات في ظل التوجه إلى الحكومات الإلكترونية، وكذلك القضاء على مشاكل التكدس وصعوبة الاسترجاع. يطلق على نتيجة التحويل الرقمي اسم "التمثيل الرقمي"

- ويمكن أن نتبع تعريف الرقمنة من خلال عدد من التعريفات المختلفة نذكر منها:
- تعريف تيلور: الرقمنة من الناحية العلمية هي نظام الكتروني يُمكن بعض الأجهزة من التقاط الصور للمواد المطبوعة وإتاحتها بلغة مشفرة ومن ثم تخزينها ونقلها واسترجاعها ونسخها أو حتى تغيرها، ومصطلح الرقمنة أشمل مما يقابله عند البعض الأخر وهو مصطلح المسح الضوئي حيث أن الرقمنة لا تقتصر على المسح فقط بل تقوم بتحويل المواد التقليدية كالصور والكتب والسجلات الصوتية إلى شكل مقروء بواسطة الحاسب .

إنّ رقمنة المخطوطات هو مشروع يتطلب كافة التدابير والإجراءات المتخذة وفق رؤية منهجية وتخطيط استراتيجي محكم، لتحويل المخطوطات من شكلها الورقي الأصلي إلى شكل رقمي، لتنتج لنا نسخة رقمية بديلة للمخطوطة الأصلية، وهذا باستعمال مجموعة من التجهيزات والبرامج المعدة خصيصا لمشروع الرقمنة

تعرف الرقمنة بأنها: عملية أخذ عنصر مادي مثل الكتاب، أو المخطوط، أوصورة وعمل نسخة رقمية لها، وإن أحد طرق حماية المستندات تكون عن طريق تقليل الاستعمال المادي، ويمكن تحقيق ذلك عن طريق تطوير برنامج الرقمنة.

- وهنا يشير التعريف إلى نقطة مهمة جدا مفادها أن النسخة الرقمية للمخطوطات ستوفر على النسخة الأصلية عناء الاستعمال والتداول اليومي لها، وبهذا الصدد يقول كارل بور **karl Popper** : "أنه حتى لو قدر لكل ما لدينا من الآلات والأدوات أن يصيبها الدمار، وحتى لو قدر أن نفقد ما توفر لنا من معرف وخبرات شخصية، فإنه يمكن لحضارتنا أن تظل محتفظة بمقوماتها، إذا أمكننا الحفاظ على المكتتبات، وعلى قدرتنا أن نفيد منها لأغراض التعلم"

- ويضيف دوج هودجز Doug Hodge مفهوما آخر للرقمنة " الرقمنة إجراء لتحويل المحتوى الفكري المتاح على وسيط تخزين فيزيائي تقليدي، مثل: مقالات، دوريات، كتب، مخطوطات، وخرائط، إلى شكل رقمي"

- الميكروفيلم: "للميكروفيلم تعريف محدد يعني التسجيل المصغّر للوثائق والمعلومات على وسط حساس للضوء يُعرف بالفيلم".

- الميكروفيلم: الفيلم الحسَّاس الذي يصوَّر عليه تسجيل فوتوغرافيّ مصغَّر لنصّ مكتوب أو مطبوع، ويمكن إسقاط هذا الفيلم على شاشة أوسع ليبدو النَّصَّ مكبرًا فتسهل قراءته.

الميكروفيلم هو مساحة فيلمية ذات خصائص معينة تسجل عليها كمية من المعلومات، تقرأ أو تطبع على ورق خاص وأفلام خاصة بواسطة أجهزة قراءة وطباعة معينة، وللميكروفيلم شكلان يختلفان باختلاف نوعية المعلومات المراد تسجيلها وهما الشكل الملفوف والشكل المسطح

- الميكروفيلم هو شريط فيلمي ملفوف حول بكرة فيلمية بمقاس عرض 16 ملم و35ملم، وطوله على حسب انتهاء المادة المصورة من المخطوطات والكتب والدوريات...،

الحفظ : عملية الرقمنة لا تعني الحفظ : الرقمنة ليست أقل تكلفة، أكثر ضمانا، أو حتى أشد توثيق من الميكروفيلم. بخلاف الجودة العالية للميكرو فيلم، فإنّ الصورة الرقمية ليست هي الرائد في عملية الحفظ، وبالتالي فإنّ الطريقة الوحيدة لإسهام الرقمنة، يلعب دور ايجابي، في عملية الحفظ، هي بأن تساهم النسخ الرقمية، في الحد من التلف للنسخة الأصلية أو حين تخزين الملفات في الكمبيوتر بصورة تلبي معاير الجودة، والاستمرارية في الحفظ، وهكذا يمكن القول أن مشروع الرقمنة لا يشكل بديلا عن الحفظ عن طريق الميكروفيلم

– تقدم التكنولوجية الرقمية مفهوما جديدا لعملية حفظ الوثائق العلمية، فهي تسمح بالمحافظة على النسخة الأصلية، من خلال توفير الوصول إلى النسخة الرقمية، وذلك عبر فصلها المحتوى عن الوسيط المادي، بالإضافة إلى ذلك فإنّ التكنولوجيا الرقمية، تحرر حفظ الوثائق من قيود التخزين المتواضعة

تتنوع الأسباب التي تؤدي إلى تنفيذ مشروع رقمنة المخطوطات في المكتبات وغيرها، أو بشكل أدق عملية التحويل الرقمي لموارد غير رقمية، وهناك بعض الأسباب تتم من خلالها عملية الرقمنة :تحسين الخدمات وذلك من خلال توفير الوصول إلى مصادر المعلومات الرقمية لهذه المؤسسات، مع ما يناسب مع التعليم، البحث عن شركات مع مؤسسات أخرى لتطوير وسائل الرقمنة وللاستفادة من المميزات الاقتصادية الأعمال المشتركة والإفادة من الفرص المالية وكظلك الرغبة في تنمية العمل التعاوني، ومشاركة مكتبات أخرى داخل وخارج تونس في إنتاج معلومات رمية إتاحتها عبر شبكة الانترنت لتسهل على الباحث عملية البحث العلمي، وكل هذه الأسباب تحد من تداول استخدام النسخ الأصلية المهددة بالتلف لكثرة استخدامها أو لهشاشتها وبالتالي إنشاء نسخ احتياطية للمحافظة عليها

.

إن علم الحاسوب ليس بالعلم الحديث جدا بالمكتبات ومراكز الوثائق، وإنما وجدت بعض المكتبات قد استخدمته منذ عقود رغم أنها مؤسسات غير ربحية وذلك خدمة للمستفيدين من باحثين ودارسين لتسهيل عمليات استرجاع الوثائق والمخطوطات.

وعندما نتحدث عن التصوير الرقمي نستطيع تعريفه بأنه عبارة عن تحويل كافة الوثائق الورقية إلى ملفات الكترونية، ويتم تخزينها بصورة رقمية لتحفظ لفترات طويلة وبهذه الطريقة أصبح بالإمكان تعديل ونسخ وطباعة وإرسال ونشر المعلومات بسهولة مطلقة، كما أصبح بالإمكان البحث في هذه المعلومات بسهولة ويسر وبفترة زمنية لا تتجاوز عدة ثوان. وبالتالي أصبح الوصول لهذه المعلومات أيسر.

ومن أهم ميزات التصوير الرقمي هو القضاء تماما على مشكلة العدد الهائل من الأوراق والتي تحتاج إلى حفظ وتخزين.

والتصوير الرقمي يقدم الحل الأمثل لمشكلة الأوراق حيث يتم تحويل الوثيقة إلى ملف رقمي يحفظ في الحاسوب وفي العادة تتم عملية الحفظ هذه على أقراص ليزرية نظرا لقدرة هذه الأقراص على حفظ كميات أكبر من المعلومات ولفترات طويلة، الأمر الذي يزيد من فاعلية عملية الأرشفة، هذا بالإضافة إلى إمكانية نسخ هذه الأقراص وحفظها في مكان آخر خارج الرئيسية أو بعيد عن الكوارث.

وبهذا يتضح أن عملية الرقمنة مهمة جدا للمكتبات في وقتنا الحاضر، حيث تسهل عمليات كثيرة تقوم بها المكتبات في مجال حفظ الوثائق بشكل عام والمخطوطات والكتب النادرة بشكل خاص، ومن ثم تساعد في عملية إيصالها إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين، وتتركز أهمية الرقمنة بالنسبة للمخطوطات في المجالات التالية:

- حماية المخطوطات العربية بشكل خاص، والتراث العربي بشكل عام من الزوال.
- حماية المخطوطات من التلف والضياع، حيث تمكن تكنولوجيا الرقمنة من نقل جميع المخطوطات على وسيط إلكتروني يساعد المستفيد على الإطلاع على المخطوط دون الحاجة للرجوع إلى المخطوط الأصلي إلا في حالات خاصة، وهذا يقلل من إمكانية تعرض تلك المخطوطات للتلف والضياع.

- إن وضع المخطوطات المرقمنة على شبكة الإنترنت, يساعد الباحثين للوصول إليها عن بعد بدون جهد و بأقل تكلفة.

- إن الوسائل التكنولوجية الحديثة في مجال تكنولوجيا المعلومات والتوثيق الإلكتروني، يسهل كثيرا استخدام نسخة إلكترونية من المخطوطات بدلا من النسخ الأصلية، وخاصة أن طبيعة المخطوط نفسه يتطلب التعامل معه بالكثير من الحذر خوفا عليه من التلف.

2.3. تعريف علم الكوديكولوجيا.

اقتصرت الدراسات الخاصة بالمخطوطات العربية حتى الآن على بحث متون هذه المخطوطات، والدراسة الفيلولوجية لما تقدمه من مادة علمية، أما الجانب المادي للكتاب المخطوط باعتباره وثيقة أثرية حضارية، فلم يلق بعد ما يناسب من عناية واهتمام.

وقد نشأ في الغرب الأوروبي علم خاص بدراسة الشكل المادي للمخطوطات اليونانية واللاتينية هوعلم الكوديكولوجيا CODICOLOGIE وتعني علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف، أي أنه يعني بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط متمثلة في الورق، والحبر، والمداد، والتذهيب والتلوين والتجليد وأيضا حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات، وكل ما دون من سماعات، وقراءات، وإجازات ومناولات، ومقابلات، ومطالعات، وتقييدات، وما يسجل في آخر الكتاب المخطوط من اسم الناسخ، وتاريخ النسخ، ومكانه، والنسخة المنقول عليها، وما على النسخة من أختام وما شابه ذلك.

من الصعوبة في الوقت الراهن تحديد ما يسمى بعلم المخطوط تحديدا نهائيا، وذلك بالرغم من تلك التعريفات المتعددة المتناثرة في مختلف الدراسات الغربية كتبا كانت أم أبحاثا منشورة في الدوريات المتخصصة والسبب في ذلك هو أن هذا العلم ما زال في بداياته الأولى وطبيعي أن تختلف الآراء وتضطرب المواقف بين ذوي الاختصاص في تحديد هذا المولود الجديد. ولا بد لنا في حالة إقدامنا على دراسة المكونات التأسيسية لعلم مخطوطات عربي حديث أن نشير بإيجاز إلى نشأة هذا العلم في الغرب ونحدد الأشواط التي قطعها عند الفيلولوجيين في أوروبا المهتمين بالدراسات العلمية للنصوص التراثية الغربية اليونانية

واللاتينية منها على الخصوص. فإذا كانت دراسة المخطوط عند الفيلولوجيين وسيلة لممارسة عملية نقد النصوص، فإنها عند هذه الفئة الجديدة التي يدعي أصحابها بالكوديكولوجيين مادة أساسية تدرس لذاتها، باعتبار أنه لا يمكن البحث في توثيق نص من النصوص وتحقيقه ودراسته دون الإلمام بالأسس المادية وتحديد الظروف العلمية والاجتماعية التي تم خلالها إنجاز المخطوط ثم معرفة الطرق التي وصل إلينا بها هذا النص.

إن الكوديكولوجيا علم يستمد أصوله ومقوماته من أعمال الفيلولوجيين الكلاسيكيين الفرنسيين منذ القرن السابع عشر. وبالرغم من اتفاق المختصين في هذا المجال على استقلالية العلم فإنهم اختلفوا في تعريف مفهومه وتحديد مكوناته:

- **تعريف ألفونس دان Alphonse Dain:** إن الكوديكولوجيا عند ألفونس دان الذي ينسب إليه وضع هذا اللفظ codicologie هو العلم الذي يهدف إلى دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية دون الاهتمام بالخط، وبهذا تستقل الكوديكولوجيا عن الباليوغرافيا التي كانت تعني علم المخطوط بالإضافة إلى علم الخطوط القديمة. إن هذا الاستقلال جعل مهمة الكوديكولوجي تشبه من بعض الوجوه مهمة الأركيولوجي الذي يهدف إلى إعادة بناء القطعة الأثرية المكتشفة لتمكنه من دراسة حضارة من الحضارات الماضية.

- **تعريف مازي Masai:** نظرا لكون هذا العلم جزء من التاريخ يدرس الكتاب المخطوط بوصفه موضوعا ماديا أي بوصفه وعاء للنص. جاء تعريف أحد العلماء البلجيكيين وهو مازي الذي اقترح عبارة آثارية المخطوط archeologie du manuscrit للتعبير عن علم المخطوط فقال " الكوديكولوجيا هي أركيولوجيا الكتب التي تعتبر أغلى وأنفس آثار حضارة معينة " وبرر مازي هذه التسمية بأن لفظ codex اللاتيني الذي يكون جزئا من كلمة كوديكولوجيا يستثني كل ما ليس بكتاب كالقراطيس واللفائف وما ماثلها من الأوعية القديمة التي يطلق عليها اللاتينيون لفظ volumen ويعني بالعربية اللفافة أو الطومار بالتعبير الشرقي.

- **تعريف جيلبر أوي Gilbert Ouy:** اقترح عبارة وثائقية المخطوط archivistique du manuscrit لأن الكوديكولوجي الذي يبحث بحثا ماديا في مجموعات المخطوطات يكاد يشبه في طريقته ومنهجه في البحث، تلك الطرق التي يستعملها الوثائقي في بحث الوثائق ودراستها.

وللخروج من هذا الغموض لجأ بعض العلماء إلى استعمال عبارة أعم وأوسع من شأنها أن تعبر عن كل ما هو مكتوب بما في ذلك اللفائف واللوحات الطينية، وهي الكوديكولوجيا الوسيطية codicologie medievale بمعناها الواسع الذي يشمل الكودكس codex بالإضافة إلى الأوعية القديمة السالفة الذكر.

وفي محاولة للنهوض بعلم المخطوطات وإيمانا منهم بتقدمه وتطويره ارتأى المختصون في هذا المجال والذين كانوا يفكرون ويعتبرون أن دراسة المخطوط ما كانت إلا إحدى الوسائل لدراسة تحولات ثقافية في مجتمع من المجتمعات، أن يعتمدوا مقاربة معاكسة تتجلى في جعل التاريخ الثقافي أداة ووسيلة للبحث في تاريخ المخطوط، وقد يتم هذا بدراسة الأرصدة الضخمة من المخطوطات المحفوظة في خزائن العالم دراسات خاصة تمكنهم من الإجابة عن العديد من التساؤلات: مثل ما عدد المخطوطات التي نسخت في جهة خاصة في فترة معينة من فترات التاريخ؟ وما الوسائل المستعملة في إنجازها؟ وكيف كانت التكلفة؟ وما المردود الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه العمليات؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي كانت تخامرهم عندما كانوا يحاولون وضع المخطوط في محيطه المادي والتاريخي والجغرافي، وهنا يلجأ الكوديكولوجيون إلى ركوب البحث الكمي في دراسة علم المخطوط لأنه هو الطريق الوحيد الذي قد يمكن من تموقع الكتاب في سياق إنتاج الكتب في عصره ويمكن من تقدير الخصائص الفردية للمخطوطات في الزمان والمكان.

وتتمثل العلاقة بين الرقمنة وعلم الكوديكولوجيا في العديد من النقاط أهمها:

- تمثل قاعدة البيانات المتوفرة على المعلومات المتعلقة بالمخطوط مصدرا للجوانب المتعلقة بالكوديكولوجيا.بما تحويه الحقول من معلومات دقيقة كالتوقيع والناسخ والتاريخ والعصر وطريقة التجليد والزخرفة وعناصرها .....

- يساعد الوسيط الالكتروني على الاطلاع على المخطوطات دون الحاجة للرجوع إلى المخطوط الأصلي. وبالتالي بالإمكان المقارنة والدراسة على نطاق واسع للوصول إلى نتائج شاملة وعامة.حتى يتسنى لنا وضع المخطوط في إطاره المادي والجغرافي والتاريخي في آن واحد.

وللجزائر مجهودات كبيرة في الحفاظ على المخطوط وفهرسته، وكانت ثمرة لجهود العديد من الباحثين الذين نادوا بالحفاظ على هذا التراث وجعله في متناول الدارسين المهتمين بكل جوانبه سواء تعلق الأمر بالفهرسة أو التحقيق أو الدراسة الكوديكولوجية. هذه الأخيرة التي لا تتم إلا إذا وضعت قاعدة بيانات شاملة تحتوي على جميع المعلومات المتعلقة بالمخطوط.

4. مجهودات الجزائر في رقمنة المخطوطات

قبل أن تهتم الجزائر برقمنة المخطوط كان لها تاريخ في الفهرسة لخصه الأستاذ عبد الكريم عوفي الذي يذكر أنه يمكننا أن نحدد أربع مراحل مرت بها فهرسة المخطوطات بالجزائر وهي:

1. المرحلة الأولى (1837 – 1909): وهي فترة الاحتلال وفيها عمل المستشرقون على تأسيس النواة الأولى للمكتبة الوطنية، ويضاف إليها عمل ابن أبي شنب.
2. المرحلة الثانية (1909 – 1953): وهي امتداد للمرحلة السابقة، لكنها اتسمت بالجمود، ولم تظهر فيها فهارس ودراسات حول المخطوطات.
3. المرحلة الثالثة (1953 – 1970): وهي مرحلة الثورة التحريرية وما بعد الاستقلال وقد عمل محافظو المكتبة الوطنية على إعداد فهارس لمخطوطات المكتبة، وقد تم وصف أعمالهم، وطبيعتها كما ظهرت فيها كتب محققة في مجالات معرفية متعددة.
4. المرحلة الرابعة (1970 – نهاية القرن العشرين): وهذه المرحلة تعد من أخصب المراحل التي نشط فيها البحث في حقل المخطوطات، إذ ظهرت فيها دراسات وتحقيقات وفهارس.

وأجريت العديد من الملتقيات والندوات التي كانت تحث دائما على الحفاظ على المخطوط ورقمنته، لذلك أصبح من أولى مهام واهتمام المكتبة الوطنية الجزائرية هو جمع وحفظ التراث الوطني كغيرها من المكتبات الوطنية في العالم، ويعد الحفظ من الوظائف الجوهرية للمكتبة نظراً لأهمية الرصيد الوثائقي الذي تحتوي عليه، ومن أهم محتويات هذا الرصيد 3649 مخطوطاً عربياً وفارسياً وتركياً، بعضها ثمين لقدمها، حيث يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر الميلادي.

وكان إنشاء المكتبة الوطنية الجديدة، وتأسيس مخبر الترميم ومخبر التصوير ، وورشة التجليد دوره في المساهمة في تحقيق سياسة الحفظ، وحماية المقتنيات الجديدة وإنقاذ الرصيد القديم.

وقصد التقليل من استعمال الوثائق الثمينة والهشة، اعتمدت المكتبة الوطنية الجزائرية تقنيتين هامتين من تقنيات التصوير هما: الميكروغرافيا (صنع المصغرات)، والتسجيل

الرقمي الميكرو غرافيا:

تحتوي مصلحة التصوير في المكتبة الوطنية الجزائرية على مخبر مجهز من:

- مجموعة كاميرات للتصوير، منها الخاصة بالميكروفيلم (16. 35مم)، وأخرى خاصة بالميكروفيش (البطاقة المصغرة) (105 . 148 مم.)

- آلات للتحميض الأوتوماتيكي.

- آلات للنسخ: للميكروفيلم (16 . 35 مم) وللميكروفيش (105 .148 مم-

وقد حققت مصلحة التصوير ما يلي

. التصوير المصغر للصحف.

. التصوير المصغر للمخطوطات المطلوبة عن طريق الباحثين.

* التسجيل الرقمي: تعمل مصلحة الإعلام الآلي على تحقيق مشروع التسجيل الرقمي الذي يهدف إلى:

- تسجيل رصيد المخطوطات كله.

- معالجته عبر الصور.

- تخزين المعطيات المرقمة في أوعية التخزين ذات قدرة عالية الأهداف، النشر والمطالعة عن بعد.

- وضع قاعدة معطيات المخطوطات في متناول الجميع باستعمال شبكة محلية أو عن بعد.

وهذا بالاعتماد على:

- أجهزة للإعلام الآلي.

- ماسح ضوئي (جهاز لمسح المعلومات).

- طابعة.

- برنامج التسيير الإلكتروني للوثيقة وحرصا من المكتبة الوطنية على ضرورة السير على هذا المنهاج فقد نظمت بالتنسيق مع المركز الوطني للمخطوطات بأدرار ملتقى وطنيا حول التراث الوطني المخطوط، ضمن تظاهرة إحياء شهر التراث 2011، الذي حمل شعار "التراث

الثقافي والمجتمع الجواري"، وقسم هذا الملتقى إلى مرحلتين، مرحلة أولى تكون بالمكتبة الوطنية الجزائرية وذلك يومي 11 و12 من شهر ماي، ومرحلة ثانية تكون بالمركز الوطني للمخطوطات بولاية أدرار يومي 17 و18 من شهر ماي.

كان الملتقى فرصة للتطرق إلى موضوع رقمنة المخطوطات والغاية من إنشاء المراكز الوطنية للمخطوطات هو الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، حيث ستعمل على رقمنة ما تتوفر عليه الزوايا والمساجد والمكتبات الخاصة بالعائلات الجزائرية حتى تكون في خدمة التاريخ والثقافة والإبداع ومساعدة العائلات في الحفاظ على هذا التراث حيث تمت رقمنة 2500 مخطوطا بالمكتبة الوطنية ، وستعمل المكتبة ذاتها على رقمنة رصيد إجمالي يتجاوز مليون ونصف مليون يتعلق بالمخطوطات والكتب والوثائق، وهي تشرع في تصوير المخطوطات على أن تستكمل البقية لاحقا.

ومن الواضح أن هذا المركز الذي أصبح من أهم المؤسسات الوطنية ذات الاهتمام بالتراث المخطوط، قد باشر في عملية الرقمنة وخصص لها مصلحة الرقمنة والتصوير الآلي والتي تقوم بتصوير المخطوط باستعمال ماسح ضوئي حديث وتصوير المخطوطات الموجودة لدى أصحاب الخزانات وإنشاء بنك معلومات ومكتبة معلوماتية للمخطوطات.

علما أن البطاقة التي تستعمل في جرد هذه المخطوطات تحتوي على العديد من البيانات المتعلقة بعلم الكوديكولوجيا وهو ما يكون مناسبا للدارسين خاصة وأن الاتصال المباشر بالمخطوط أصبح صعبا بهدف حمايته والحفاظ عليه. فالبطاقة هذه تمدنا بعدد لا بأس به من المعلومات التي قد نحتاجها في الدراسة الكوديكولوجية. سواء تعلق الأمر بتعريف المخطوط أو طريقة الاقتناء أو درجة حفظه وطريقة ترميمه.إضافة إلى الصور الرقمية وإمكانية استغلالها لمعرفة تفاصيل مادية أخرى تتعلق بصناعة المخطوط.

- **بطاقة فنية لدراسة المخطوط:**

طبيعة المخطوط:

نوع التجليد: لون التجليد:

عدد الأوراق:

مقاس الورقة / طول عرض:

عدد السطور بالصفحة:

نظام السطر:

نوع الخط:

لون حبر الكتابة: - لون حبر الشكل: - لون حبر الإعجام:

الناسخ:

التاريخ: هـ / م

التوقيع:

مكان الحفظ:

رقم الجرد:

مصدر الحصول عليه:

- **الوصف.**

5. مخطوطات الجزائر والجهود المبذولة

ظهر الكثير من اهتمام المنشغلين بالتراث المخطوط بالجزائر سواء المستشرقين الأوروبيين أو من الباحثين الجزائريين وغيرهم، حيث تجلى هذا الاهتمام في شتى أنواع المخطوط وفي مختلف مجالاته، وكان هذا من خلال جمعه وفهرسته ودراسته دراسة كوديكولوجية وصيانته، بالإضافة إلى تأسيس مراكز بحث وطنية وجهوية وانشاء مخابر علمية وفرق بحث في الجامعات، وعقد العديد من المؤتمرات والندوات العلمية، كلها تعنى بدراسة المخطوطات وحفظها وصيانتها.

كما تجدر الاشارة لوجود العديد من المساهمات العلمية والعملية المبذولة من طرف الجهات الفاعلة والداعمة، للنهوض بالتراث المخطوط والمحافظة عليه، على الصعيدين الرسمي والخاص.

1. حركة التأليف والنسخ بالجزائر في العهد العثماني:

لقد انتشرت الحركة الثقافية من التأليف في شتى العلوم، وازدهرت حلقات العلم في الجزائر، وقد أجمع المؤرخون أن الفترة العثمانية بالجزائر خاصة أواخرها، كانت مزدهرة بالثقافة والتعليم. (مريخي، 2017، صفحة 234) وتشير المصادر إلى أنه كان بالجزائر خلال العهد العثماني بعض المشتغلين بصناعة الكتب عموما، من وراقة وتجليد ونسخ وخط ونحو ذلك، فقد جاء في منشور الهداية أن الطالب محمد النقاوسي كان سمسارا في الكتب في قسنطينة، وفي تلمسان اشتهر علي بن تيجيرست بالاشتغال بالوراقة، وروى ابن حمادوش عن نفسه أنه كان يشتغل بالكتب بيعا وتجليدا ونسخا في مدينة الجزائر، وأنه كان يملك دكانا لهذا الغرض قبالة الجامع الكبير وكان في الجزائر سوق يدعى سوق الوراقين، ولعله هو سوق القيسرية الذي ذكره حمدان خوجة في المرآة، وكان مخصصا لبيع الكتب وكان النساخون فيه بكثرة. (سعد الله، 1981، صفحة 293)

والجزائر كغيرها من الأقطار العربية عملت منذ نشأة الدولة الإسلامية على تنشيط الحركة العلمية و الثقافية، فأنشأت المراكز العلمية وشجعت التعليم والتأليف وجمع المخطوطات، و كانت بها مدن علمية شهيرة لا تقل عن مثيلاتها في الأقطار الأخرى، كما أنها

كانت محطة عبور بين المشرق العربي والغرب الإسلامي و إفريقيا، وقد استمرت هذه الحركة وتنامت حتى أيام الاحتلال الفرنسي، حيث قل نشاطها وكاد يقضى عليها، ولما استعادت البلاد حريتها استأنفت هذه المراكز نشاطها التعليمي، مع الأخذ بالمعطيات العلمية والمناهج الحديثة، فازدادت ثروتها الفكرية ولكن بقيت المخطوطات غير معتنى بها إلا في السنوات الأخيرة. (عوفي، 1999، صفحة 35،36)

أثناء القرون الثلاثة للوجود العثماني في الجزائر كانت السلطات الفكرية والروحية تتحكم فيها المؤسسات الدينية التي حافظت على الهوية الجزائرية وتراثها الثقافي المتراكم عبر تاريخ الدول الإسلامية في منطقة المغرب الإسلامي، بفضل هذه المؤسسات الدينية انتشر التعليم في كل مناطق الإيالة، حيث شهد الفرنسيون أنفسهم أنه يوجد في الجزائر آنذاك الكثير من المدارس التي تعلم القراءة والكتابة للتلاميذ الذين تزيد أعمارهم عن سن الخامسة. (أعراب، 2004، صفحة 64)

إلى جانب التربية والتعليم فإن الكتاب يحتل مكانة لا يستهان بها، حيث يوجد في حي القصبة شارع خاص لبيع وشراء الكتب ونسخ المخطوطات من القرآن الكريم ذات التجليد الفاخر، وكذا كتب الحديث والفقه. وكانت القيصرية التي هدمت بأمر من الجنرال " كلوزيل" تحتوي على محلات النساخ وأكثرهم من أمهر الخطاطين الذين يقومون يوميا بنسخ المخطوطات وسور من القرآن الكريم. (أعراب، 2004، صفحة 65) وكما ورد في النفحة المسكية في السفارة التركية للتمغروطي "إن مدينة الجزائر كثيرة الكتب، وإنه لا يضاهيها بلد في ذلك من بلدان افريقية، ولا سيما كتب الأندلس" (جدواني، 1999، صفحة 58)

وتختلف طرق اقتناء الكتب، ومنها الاستنساخ والنسخ ذلك أن الحريصين على جمع الكتب، كانوا ينسخون الكتب بأنفسهم أو يستنسخون غيرهم مثل تلاميذهم، وكان بعضهم يستنسخ للأصدقاء وحتى المؤلفين أنفسهم، وقد شاعت حركة النسخ والاستنساخ في الجزائر، حتى أنه كان لها اختصاصيون مشهورون، ومن شروطها جودة الخط وحسن

اختيار الورق، وإتقان صناعة الوراقة والسرعة والمهارة في التوثيق والدقة في العمل. (سعد الله، 1981، صفحة 290،291)

وفي مدينة الجزائر نجد حمدان خوجة المولود بمدينة الجزائر حوالي 1775م (كواتي و سيدي عيسى، 2007، صفحة 121)، كتب العديد من المؤلفات والرسائل، الى جانب المصنفات منها "تقاييد على كتاب حمدان خوجة" وكذلك كتاب "المرآة" الذي اشتهر به و يتألف من ثلاثة عشرة فصلا. (مريخي، 2017، صفحة 239). يعطي فيه لمحة تاريخية و احصائية عن دولة الجزائر و هو بحق يعتبر مرآة للجزائر. (كواتي و سيدي عيسى، 2007، صفحة 122).

كما اشتهرت مدينة قسنطينة ببعض النساخ و الخطاطين، حتى قارنهم بعض الكتاب بابن مقلة في حسن الخط، ومن هؤلاء أبو عبد الله ابن العطار، الذي كان من أسرة شهيرة بالعطار، تولت الوظائف الرسمية في العهد العثماني، وكذلك اشتهر الشيخ ابراهيم الحركاتي، فقد كان مدرسا بالمهنة ولكنه اشتهر أيضا، بالنساخة وحسن الخط حتى أصبح مشهودا له، واشتهر محمد الزجاي بالنساخة حتى أصبح له فيها مهارة وطاقة كبيرة، وذكر الورثيلاني أن أحمد التليلي، كان بديع الخط سريع اليد وأنه كان ينسخ كراسا من القالب الكبير أثناء السفر، أما يوم الإقامة فكان ينسخ أكثر. (سعد الله، 1981، صفحة 291) وكان مما جمع بين التصوف و العلم، عبد الرحمان باشا تارزي (ت1222هـ/1807م)، ومن مؤلفاته "غنية المريد في شرح منظومة مسائل التوحيد"، ومحمد الحفصي القسنطيني(ت1226هـ/1811م)، له "حاشية على السلم في المنطق" وله"تقاييد"، والشيخ مصطفى العجمي(1240هـ/1824م)، له مؤلف في "تكملة شرح الشنهوري" (مريخي، 2017، صفحة 240).

وأنجبت مدينة وهران العديد من العلماء كأمثال عبد القادر الوهراني(ت1248هـ/1832م) صاحب التصانيف منها "نظم الجواهر في سلك أهل البصائر"ومنها تأليف طريف في التاريخ بعنوان "خاتمة أنيس الغريب والماهر في الطرائف والنوادر" (مريخي، 2017، صفحة 238)

وفي مدينة معسكر برزت عائلات بحالها، توارثت العلم والوظائف العلمية كعائلة الخروبي وعائلة أبي راس الناصري، وأحمد بن سحنون الراشدي(ت1211هـ/1796م)، الذي ترك كتابه " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" وكتابا آخر عنوانه"عقود المحاسن" (الزين، صفحة 162) والشيخ عبد الرحمان المعروف بابن زرفة الدحاوي، واحد من شرفاء غريس وكان ضمن تلاميذ العلامة الحافظ ابي راس الناصري. (الزين، صفحة 162) والذي ترك لنا مؤلفات منها "الرحلة العمرية في السيرة المحمدية" و "الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء و الخلفاء" (مريخي، 2017، صفحة 238)

ومن أعلام تلمسان كثيرون منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن هطال التلمساني وله من المؤلفات" رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري 1785م. (الزين، صفحة 162).

وكانت منطقة زواوة هي الأخرى تعج بالعلماء والمؤلفين من أبرزهم الزواوي (ت1221هـ/1806م) في كتابه "الوظيفة المحمدية لأهل الطريقة المعازية" وكذلك الفقيه الطيب الزواوي (ت 1251هـ/1836م) ناظم له "الدرة المكنونة" و "أرجوزة في عقائد التوحيد" و"تكملة الفوائد في تحرير العقائد" (مريخي، 2017، صفحة 239) ومحمد بن ميمون الجزائري أحد شيوخ الفقه والأدب والتصوف وترك لنا كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية". (كواتي و سيدي عيسى، 2007، صفحة 68)

ومن علماء الزيبان والواحات نجد الشيخ محمد بن خمار والشيخ الطاهر دالي والشيخ يوسف بن عدون(ت1223هـ/1808م)، الذي كتب "حاشية علي البيضاوي" و"أرجوزة في أسرار الشريعة"، وكذلك العالم الجليل ابراهيم بن بيحمان (1232هـ/1817م) من بني يزقن، ومن مؤلفاته "مختصر المناسك ومهذب المسالك والجواهر الثمينة".

كما أسهم أقليم توات في أدب الرحلات منها رحلة عبد الله بن احمد الفلاني، ورحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن أدريس التنلاني (ت1233هـ/1818م)، وله رحلة إلى الجزائر العاصمة (1231هـ-1816م). (مريخي، 2017، صفحة 24) واعتبرت منطقة توات مركزا ثقافيا منذ عهود خلت تجلت في الزوايا المنتشرة عبر المنطقة وفي الخزائن العلمية الموجودة في العديد من القصور كاقبلي وأولف و زاوية كنتة و تمنطيط ملوكة، و زاوية بودة و مطارفة

وأولاد عيسى بتيميمون. (حوتية، 1999، صفحة 284). هذا ماجعلها قبلة لزيارة العديد من المفكرين والباحثين العرب والأعاجم كالمؤرخ والرحالة أبي سالم العياشي، والمفكر مالك بن نبي، والمؤرخ الألماني جيرهاردرولف وغيرهم كثيرين. (آبا الصافي، 2015، صفحة 22).

ومن أشهر الحكام الذين شجعوا على حركة النسخ والاستنساخ، الباي محمد الكبير الذي شجع الطلبة وكتابه الخصوصيين على اختصار الكتب المطولة، ونسخ بعض الكتب الأخرى له، ومن جهة أخرى نجد صالح باي، قد أوقف في مدينة قسنطينة عددا من الكتب على المدرسة الكتانية، التي بناها بل كان يشتري الكتب الموقوفة من أصحابها، وما زال بعضها يحمل ختمه إلى اليوم.

وكان الحج والرحلة إلى طلب العلم وراء انتشار حركة التأليف والنسخ واقتناء الكتب وكان حجاج المغرب الأقصى يتركون آثارهم ذاهبين وآيبين، فالعياشي تبادل الكتب والكراريس مع علماء الجزائر أثناء مروره بها في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. (سعد الله، 1981، صفحة 295،296).

وكان وقف الكتب يتم بنفس طريقة الأوقاف الأخرى، فالواقف عادة ينص على أن الكتاب موقف في سبيل الله على طلبة الجامع أو الزاوية أو المدرسة التي يوجد بها، وكان الواقف أيضا يضع عبارات الوقف الشرعية وختمه الذي يحمل تاريخ الوقف وخطه الشخصي، وقد وجد الباحثون في مكتبات قسنطينة عددا من الكتب عليها عبارات توقيف وختم صالح باي والقاضي الحنفي محمد العربي بن عيسى، وغالبا ما يضع الوكيل ختمه إلى جانب ختم الوقف، وكان الباي محمد الكبير هو الآخر قد أوقف مكتبة على جامعه الأعظم. (سعد الله، 1981، صفحة 300).

وتعتبر الجزائر من بين البلاد العربية الغنية بالمراكز العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات كالزوايا والخزانات الشعبية والمساجد والكتاتيب القرآنية والقصور ومكتبات الأفراد و الأسر، ومن أشهر هذه المراكز على سبيل المثال لا الحصر: زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة، وزاوية علي بن عمر في طولقة، وزاوية مولى القرقور بباتنة، وزاوية تماسين بورقلة، وزاوية سيدي خالد ببسكرة، وزاوية الهامل ببوسعادة، وزاوية القنادسة ببشار، وزاوية

الشيخ الحملاوي في ميلة، وزاوية بطيوة في وهران، و مكتبات ابن الفكون والشيخ نعيم النعيمي بقسنطينة، والشيخ المهاجر وابن اسماعيل والمهدي البوعبدلي في وهران، والشيخ شعيب في تلمسان، والشيخ الحداد في القبائل، والأمير عبد القادر، ومكتبات وادي مزاب التي تفوق المائة مكتبة، وخزانات المنطقة الجنوبية من البلاد في كل من أدرار وبشار وتندوف وتمنراست. (عوفي، 1999، صفحة 34،35).

إن هذه المراكز وغيرها مليئة بكنوز من التراث المخطوط وهي تشمل مختلف فنون المعرفة الإنسانية من فقه وأصول وعقيدة وتوحيد وتفسير وقراءات وتجويد وحديث وفلسفة وطب وزراعة وفلك ومنطق وكيمياء وجغرافيا ورياضيات وتراجم وغيرها .... (عوفي، 1999، صفحة 35)

ومن خلال ما تقدم ذكره يتضح أن الجزائر، كانت تملك قبل الاحتلال الفرنسي رصيدا هائلا من المخطوطات، التي تزخر بها خزائن المساجد والزوايا والمدارس ومكتبات الخواص، حيث تراكمت هذه المخطوطات عبر الزمن ونشأت هذه الخزائن من مختلف المصادر نذكر منها:

- مخطوطات ورثت من العواصم الثقافية مثل تلمسان وبجاية وتاهرت وقسنطينة وغيرها حيث تكونت وتطورت خزائن ثرية بالمخطوطات.
- بعد سقوط غرناطة كان إجلاء المسلمين إلى المدن الساحلية مصحوبا بنقل كميات معتبرة من المخطوطات، نتيجة هجر أهالي الاندلس نحو المغرب الاسلامي (بونقاب، 2017، صفحة 553).
- كانت تأتي من الدول الإسلامية الأخرى، وعن طريق الهجرة وبالأخص من البقاع المقدسة أثناء تأدية الجزائريين لشعائر الحج، كما تأتي أيضا من تركيا ومصر والمغرب وغيرها.
- عملية التأليف والنسخ والشراء وكانت هذه التجارة رائجة، ولها أسواق خاصة بالإضافة الى وقف عدد منهم في الجوامع والمساجد، سواء من العلماء أو عامة الناس. (أعراب، 2004، صفحة 65،66).

- الانتاج المحلي مادة وعلما، وما يتوفر من كثرة دور العلم، من مؤسسات علمية وثقافية كالمساجد والكتاتيب والزوايا، بالإضافة الى دور الاستنساخ ... (بونقاب، 2017، صفحة 553).

- كانت تركيا والمغرب من البلدان التي اقتنى منها الجزائريون مخطوطاتهم، فقد ذكر الكاتب الفرنسي "لالوي" في المجلة الأفريقية، أن المخطوطات التي جمعها "بوربروغر" من قسنطينة كانت جميلة كثيرا في الشكل والتجليد، وأنها كانت واردة من مصر وتركيا، ومن جهة يذكر ابن حمادوش في رحلته إلى المغرب انه اشترى ونسخ مجموعة من الكتب، هناك مع ذكر أثمانها وأسمائها، ويضيف الأستاذ أبو القاسم سعد الله بأن هناك مخطوطات وردت من العثمانيين أنفسهم، كالدراويش الذين كانوا يرافقون الجنود أحيانا والقضاة الذين كانوا يعينون من اسطنبول، حاملين معهم مكتباتهم الخاصة أو بعضا منها، بالإضافة إلى طائفة من آل عثمان كانوا قد زاروا الجزائر مصطحبين معهم أوراقهم ووثائقهم القديمة من إجازات ورسائل وتآليف. (سعد الله، 1981، صفحة 290).

ولم يختلف مصير مكتبات المدن الجزائرية بعد الاحتلال عن مصير مثيلاتها في العالم الإسلامي، حيث اضطر أصحابها إما لتهريبها أو وقفها، على مكتبات إسلامية مثل الذي حدث للشيخ محمد بن إسماعيل الذي أوصى أن تحمل مكتبته إلى الروضة النبوية مع جثمانه، كما نفيت مكتبات بأكملها كالتي حدثت مع المفتي ابن العنابي، من العاصمة فحمل معه بعض الكتب إلى مصر وهي لا تزال إلى اليوم تحمل ختمه و خطه، وكذلك كان الشأن للشيخ الصديق بن يحي الذي هاجر من نواحي قسنطينة إلى تونس ومعه كل الوثائق التاريخية، أما ما كان بالناحية الغربية مثل تلمسان فأغلب الظن أنها قد عرفت طريقها نحو المغرب الأقصى بفاس وغيرها. (صاحبي، 2003، صفحة 133).

6. مخطوطات الجزائر بين 1830 و1962

يعود تاريخ الدراسات العربية للمستشرقين الفرنسيين بالجزائر إلى احتلال مدينة الجزائر في 1830م، حيث صاحبه كوكبة من المترجمين الفرنسيين المعربين الذين عرفوا "بالمعربين الجزائريين"؛ إن الدور الذي قام به هؤلاء يندرج في إطار المخطط الاستعماري الذي كان يرمي إلى فهم المجتمع الجزائري من جميع الزوايا قصد جمع القدر الكافي من المعطيات والمعلومات التي تساعد السلطات العسكرية على بسط نفوذها على الشعب الجزائري وبالتالي تحقيق مآربها الاستعمارية (أعراب، 2004، صفحة 69) فجاءت مسيرة الاستشراق مرافقة ومتزامنة مع الاحتلال الفرنسي، في محاولة للتوغل في عمق المجتمع الجزائري واستنطاقه حضاريا وثقافيا وتراثيا، ومن ثم شُرع في حركة جمع وترجمة وتأليف، اعتبرت الأولى من نوعها في مسيرة الاستشراق بالجزائر (بن قسيمة، 2021، صفحة 205) فقام بعض المستشرقين الفرنسيين والعسكريين وبعض هواة جمع المخطوطات بالاتصال بالحواضر العلمية والمؤسسات الدينية والثقافية منها المساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية فجمعوا ما تحتفظ به من مخطوطات، لأن هذه المراكز العلمية يومها، كانت تعج بالكتب المخطوطة التي لها دور في نشر العلم وتلقين المعارف. (عوفي، 1999، صفحة 38). وكانت المخطوطات التي تجمع من المناطق المختلفة، من طرف الفرنسيين تخضع لعملية الفرز قبل أن تودع في المكتبات التي أنشأها هؤلاء إذ أن نفائس المخطوطات، نقلت إلى المكتبات الفرنسية وإلى المكتبات الخاصة لأولئك الذين كانوا يقومون بجمعها، وهؤلاء المستشرقون لم يكفوا بجمع المخطوطات فحسب، بل كتبوا حولها دراسات ومقالات وأعدوا لبعضها فهارس وقوائم، وهذا الأمر لم يكن مألوفا في المراكز العلمية بالجزائر، على اختلاف أنواعها من مساجد وزوايا وخزانات وكتاتيب و رباطات. (عوفي، 1999، صفحة 38). وتعد هذه المحاولات كبداية لمساهمة فعالة في تأسيس اللبنة الأولى في نشأة المكتبة الوطنية الجزائرية التي أنشئت بمرسوم صدر في 5 نوفمبر 1835 م الموافق لعام 1251 هـ (عوفي، 1999، صفحة 38) وهي تعتبر اليوم أهم مركز رسمي للمخطوطات في الجزائر، ليس من حيث رصيدها فحسب؛ بل من حيث حفظها وفهرستها، إضافة إلى جعلها في متناول الباحثين

والمهتمين قصد الاستفادة، ويبقى رصيد المكتبة الوطنية من المخطوطات في تزايد باستمرار، وذلك عن طريق الشراء واستقبال الهدايا أو التبادل؛ فنجد مثلا سنة 1999م أن رصيد المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية بلغ حوالي 3369 مخطوطا، وأكثر من4000 مخطوطا سنة 2011م، وما يزيد عن 5000 مخطوطا عام 2013م (بونقاب، 2017، صفحة 553). و ذكرت التقارير الفرنسية المكتوبة غداة الاحتلال، أن أهم المكتبات العامة في قسنطينة كانت في المساجد والزوايا، وأن أشهر المكتبات هي مكتبة الشيخ الفكون ومكتبة باش تارزي و مكتبة ابن عيسى، وكان " بربروغر" قد رافق الحملة على قسنطينة وأخد يجمع المخطوطات من المساجد وغيرها، ومن أيدي الجنود بل حتى الشوارع حين كان" لكل جندي قرآنه" كما يقول، وهو يعني بالقرآن هنا كل كتاب مكتوب باللغة العربية وقد جمع حسب التقارير، ما يزيد على ثمانمائة مخطوط وعاد بها إلى مدينة الجزائر، ومن بين هذه المخطوطات مجموعة من الكتب للرياضيين الإغريقيين ومجموعة أخرى من علوم الفلسفة والطب وغيرها استفاد منها الفرنسيون. (سعد الله، 1981، صفحة 305).

كما أورد المستشرق " البارون ديسلان" إثر الحملة على مدينة قسنطينة تقريرا عن محتوى الكتب التي حملها "بربروغر" معه إلى مدينة الجزائر، وهدفها هو التعرف على نوع الكتب التي تغدي الثقافة في قسنطينة على الخصوص، وفي الجزائر عموما خلال العهد العثماني (سعد الله، 1981، صفحة 305)، وفي نفس الوقت ذهب "ديسلان" إلى قسنطينة غداة احتلالها واطلع فيها على مكتبة حمودة الفكون وقام بإحصاء المخطوطات التي تحتويها أغنى مكتبة شرقية في الجزائر خلال العهد العثماني، والتي بلغت أربعة آلاف كتاب. (متاجر، 2018، صفحة 58) ولم يتبق من مكنونات مكتبة سي حمودة الفكون سوى 220 مخطوطة بعد الاستقلال وهي محفوظة في المكتبة الوطنية الجزائرية وهذا حسب ما أورده الباحث السنيغالي "حسن فوارز" بعدما قام بإحصائها وفهرستها سنة 1966م. (متاجر، 2018، صفحة 58). و يقول المستشرق الفرنسي "بربروغر"أن التعليم في عمالة قسنطينة كان أكثر انتشارا والدليل على ذلك الكمية الكبيرة من المخطوطات في عاصمة أحمد باي" وتلمسان هي الأخرى رغم انحطاطها تحت الحكم التركي إلا أنها بقيت واحدة من بين

العواصم الثقافية والفكرية للمغرب الإسلامي، أين توجد الكتب بكثرة. (أعراب، 2004، صفحة 65). والمطلع على الأرشيف عموما، وعلى الأرشيف بمدينة إكس-آن- بروفانس يجد التقارير الفرنسية الأولى للمعهد الفرنسي الأول في الجزائر تذكر أن ألف مخطوط قد جيء به من اقليم قسنطينة، وأكثرها من هذه المدينة. نجد في بعض المراجع كالمجلة الإفريقية 1859م، التي تذكر بعض عناوين المخطوطات ومحتوياتها، كالفقه المالكي مذهب المنطقة، وإعراب القرآن الكريم، وبعض كتب القاضي عياض، وشمائل الرسول- صلى الله عليه وسلم - ، وفي نفس المجلة كذلك نجد مقالات "لفانيان" صاحب فهرسة المخطوطات العربية في الجزائر، يذكر أنه يوجد بمكتبة بلدية "بورد" بعض المخطوطات الجزائرية وبكميات معتبرة، ككتاب "عجائب الأسفار لأبي راس الناصر المعسكري"، الخاص بفتح وهران وتاريخ قسنطينة. (عقاب، 1999، صفحة 86،87).

كانت قسنطينة غداة الاحتلال تحتوي على مكتبات قيمة، وذلك بشهادة المحتل نفسه فقد اعترف "البارون ديسلان"، الذي كتب تقريرا عن المكتبات في قسنطينة عقب احتلالها مباشرة وكذلك "ادريان بيربروغر" الذي رافق الحملة الفرنسية على مدينة قسنطينة و تلمسان، و معسكر، وجمع المخطوطات من هذه المدن، وقد ذكر أيضا "شارل فيرو"، الذي كتب عن المؤسسات الدينية في قسنطينة وعن العائلات الكبيرة بها، والتي كانت تحتفظ بمخازن من المخطوطات والنوادر في بعض المواضيع، وأعطى نموذجا يتمثل في مكتبة شيخ الإسلام بقسنطينة "عائلة الفكون"، التي قال عنها أنها كانت غنية لا بالكتب الخاصة بالجزائر وفقط بل حتى بالكتب المتعلقة بالبلاد الإسلامية المجاورة، وكان " فيرو " قد أراد بذلك أن يبرهن على وجود كتب في الجزائر وتذوق أهلها بالفنون والعلوم رغم عدم عناية العثمانيين بالثقافة، و حسب " بربروغر" نفسه أن المكتبة الوطنية بالجزائر سنة 1837م احتوت على أكثر من200 مخطوطا جلبت من مكتبات زوايا قسنطينة، وكذا مكتبات العائلات بهذه المدينة. (بن قايد، علي خوجة، و عبادة، 1999، صفحة 244،245).

إن المحاولات التي قام بها المستشرقون وبعض الضباط في الجيش الفرنسي، تعد رائدة بالنسبة للمكتبة الجزائرية، ولذا فإن الإشارة إليها من أوكد الأمور لأنها النواة الأولى لظهور

دراسات علمية حول المخطوطات جمعا وتوصيفا ودراسة، وقد كشف البحث عن جهود ومحاولات تمت في فترات متلاحقة، كانت بداياتها محاولات المستشرقين منذ سنة 1837 م (عوفي، 1999، صفحة 39).

4- جهود المستشرقين:

لقد بلغ عدد الأعمال التي أنجزها هؤلاء المستشرقين 15 عملا؛ منها 3 فهارس متداولة في المكتبة الوطنية (عوفي، 1999، صفحة 39) وهي من إنجاز كل من: .

1- أتيان كترومان (1782-1857): بدأ خدمته سنة 1807 في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الفرنسية، ومن أعماله التي صنعت شهرته طبعة لمقدمة ابن خلدون سنة 1844 والتي عاد بها سنة 1858 في طبعة في ثلاثة أجزاء ونشره لتاريخ مماليك المقريزي من 1837-1848 في جزأين، وكان نموذجا للعالم المتبحر في معرفة افريقيا الشمالية واسبانيا والهند، وخلف العديد من المؤلفات منها 1200م مخطوطة (عبد الحميد و شرفي، 2021، صفحة 966).

2- أدريان باربروغر: (1081-1857) يعد المؤسس الأول والرئيسي لنواة المخطوطات الفرنسية لمكتبة الجزائر وأصبح أول محافظ لها، (عبد الحميد و شرفي، 2021، صفحة 967) وكان قد شارك في حملة قسنطينة وهناك استولى على عدد هائل من المخطوطات، وأخبر بأنه جمع حوالي ثلاثة عشرة صندوقا لم يصل منها إلى الجزائر سوى ثمانية فقط، وكانت تضم حوالي 500 مخطوطا، كما شارك في حملة معسكر سنة 1835م وتلمسان والمدية سنة 1836م، وطوال خدمته في الجزائر شارك في جميع اللجان والجمعيات العلمية، وترك انتاجا غزيرا نشر معظمه في المجلة الافريقية ما بين 1832-1867م، وقدرت بحوالي واحد وثلاثون دارسة، كما سجل ملاحظات ومقالات بلغت 241 في المجلات (متاجر، 2018، صفحة 56) وشرع بربروغر في فهرسته سنة 1844م وانتهى منه في سنة 1851م، واشتملت فهرسته على 791 مخطوطة وجلها وردت من قسنطينة ومجموعة منها من المساجد وقد كتبه بخط يده وسماه "فهرس مكتبة الجزائر" (متاجر، 2018، صفحة 55).

3- ادموند فانيان: (1846-1931) كان يشغل منصب مصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية بباريس منذ عام 1873 قبل وصوله للجزائر سنة 1884، وفي سنة 1885 كلفه الحاكم العام في الجزائر" تيرمان" بمهمة البحث عن المخطوطات في عمالة وهران، وقد أنجز فانيان فهرسة المخطوطات العربية والتركية والفارسية وذلك بالاعتماد على سابقيه أمثال "بوربروجر" "ودوسلان" وأحصى في هذا العمل حوالي 1897 مخطوطة (عبد الحميد و شرفي، 2021، صفحة 967)، ويعد فهرس فانيان " الفهرس العام لمخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية " من أجود الفهارس العلمية التي أنجزها المستشرقون في الجزائر، وما يزال حتى اليوم من أهم الفهارس التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية الجزائرية لأنه يعتبر المفتاح الذي يستعمله الباحثون في الحصول على مخطوطات المكتبة، و أنجز الفهرس باللغة الفرنسية وطبع في باريس سنة 1893 م ويعد هذا الفهرس في نظر الفرنسيين الجزء الثامن عشر من فهارس مخطوطات المكتبة العمومية الفرنسية. (عوفي، 1999، صفحة 40).

4- روني باسيه : إضافة إلى كتاباته المتعددة والمتمثلة في التقارير العلمية اهتم كذلك باستكشاف بعض المكتبات الجزائرية في منطقة الصحراء؛ ففي شهر مارس 1885 كلف من قبل الحاكم العام للجزائر بدراسة اللهجات الأمازيغية في واد ميزاب ووادي ريغ بحيث تحصل "روني باسيه" عن طريق أحد الطلبة على نسخة لقاموس الأمازيغية، والاهتمام الذي أولاه " باسيه " للمخطوطات العربية بصفة خاصة تدل عليه كتاباته المتعددة منها: المخطوطات العربية لزاوية الهامل، المخطوطات العربية لمكتبات زوايا عين ماضي وتيماسين وورقلة، المخطوطات العربية لباش آغا الجلفة، مخطوطات مكتبات واد ميزاب إلى جانب الكتابات الأخرى حول المخطوطات التي نشرت في دوريات مهمة خاصة المجلة الأسيوية ومجلة المراسلة الأفريقية (أعراب، 2004، صفحة 70) وخلال هذه الزيارة تمكن روني باسيه من إتمام مشروعه العلمي في معاينة المكتبات وفهرستها. (عبد الحميد و شرفي، 2021، صفحة 967).

5- دي كلاسونيتي-موتيلينكسي: يعد أحد المترجمين العسكريين الذين اهتموا بالدراسة والبحث في مجال المخطوطات خاصة الكتب الإباضية، ففي 1883م، قدم إلى القائد العام تقريرا حول منطقة غرداية وما تحويه من مخطوطات وقد توصل على رصيد مهم من المعلومات والوضع العام حول المنطقة وحال المخطوطات بها ويصرح في تقاريره أنه استعان ببعض الطلبة المزابيين حيث يقول: "عند وصولي إلى غرداية اتصلت مباشرة ببعض الطلبة المزابيين الذين ارتأيت أنه بإمكانهم إفادتي بمعلومات دقيقة فيما يخص كتب المنطقة" (أعراب، 2004، صفحة 71)، كما يعود الفضل إلى هذا المستشرق في ترجمة فهرس الشيخ ابو القاسم ابراهيم البرادي الذي يحتوي على 82 كتابا يضم تاريخ وتراث المذهب الإباضي. (عبد الحميد و شرفي، 2021، صفحة 966).

6 - إميل ماسكوري: كانت مساهمة اميل ماسكوري في ميدان المخطوطات العربية عندما قام بمهمة الزيارة والإطلاع إلى واد ميزاب في 5 ماي 1878م وتهدف هذه المهمة في الاستكشاف منطقتي الأوراس وواد ميزاب قصد جمع الوثائق الخاصة باللسانيات و الأثنوغرافيا والآثار، ولقد التزم "اميل ماسكوري" بهذه الوثائق وتقديمها بعد استغلالها إلى أهلها (عوفي، 1999، صفحة 40).

7 - جوزيف شاخت: كان من بين المهتمين بالمخطوطات العربية وبخاصة التراث الإباضي ففي ديسمبر 1952 قام هو الآخر بزيارة لواد ميزاب والذي لم يتلق الصعوبات التي واجهها المستشرقون الذين زاروا المنطقة قبله حيث يقول في إحدى مقالاته " بعد بضعة أيام من الملاحظة الحذرة، وبعد اقتناعهم من الطابع الهين لبحوثي فتح لي علماء وادي ميزاب كل الأبواب حيث سمحوا لي بالدخول إلى مجتمعهم وبيوتهم ومكتباتهم" ، وقد سمحت هذه الزيارة " لشاخت " بإعداد فهرس يحتوي على 151 كتابا بين مخطوط ومطبوع (أعراب، 2004، صفحة 73) وقد أورد شاخت عدة ملاحظات حول هذه الفهرسة بأنها تضم كتبا في العلوم الاسلامية، وتاريخ بني ميزاب موزعة على التفسير والقراءات وعلوم الحديث والفقه وأصوله ...وكلها محفوظة في مكتبة الشيخ محمد يوسف اطفيش، وملحق مكتبة الغناي في بني يزقن (عبد الحميد و شرفي، 2021، صفحة 967).

7. مخطوطات الجزائر من 1962 إلى اليوم

لم يكن العلماء الجزائريون في معزل عن هذه الحركة العلمية مع بداية القرن العشرين، ولا سيما الذين يكتبون بالفرنسية، إذا وجدنا الكثير من جهود الجزائريين المنشغلين بالمخطوطات، وكانت الحصيلة العامة للأعمال العلمية المنجزة في مجال الفهرسة وإعداد القوائم الاسمية ودراسات أخرى مماثلة 70 عملا علميا. (عوفي، 1999، صفحة 39).

أولا: جهود الجزائريين في فهرسة المخطوطات: يمكن أن نحدد أربع مراحل مرت بها الفهرسة في الجزائر وهي:

- المرحلة الأولى: 1837 – 1909م، وهي فترة الاحتلال وفيها عمل المستشرقون على تأسيس النواة الأولى للمكتبة الوطنية، ويضاف إليهم عمل ابن أبي شنب.

- المرحلة الثانية: 1909 – 1953م، وهي امتداد للمرحلة السابقة لكنها اتسمت بالجمود ولم تظهر فيها فهارس ودراسات حول المخطوطات.

- المرحلة الثالثة: 1953 – 1970م، وهي مرحلة الثورة التحريرية وما بعد الاستقلال، وقد عمل فيها محافظو المكتبة الوطنية على إعداد فهارس لمخطوطات المكتبة، ووصفوا أعمالهم وطبيعتها، كما ظهرت فيها كتب محققة في مجالات معرفية متعددة.

- المرحلة الرابعة: 1970م- نهاية القرن العشرين وهذه المرحلة تعد من أخصب المراحل التي نشط فيها البحث في حقل المخطوطات، إذ ظهرت فيها دراسات وتحقيقات وفهارس وأرقى فترة للفهرسة، هي العقد الأخير من هذا القرن. (عوفي، 1999، صفحة 46).

ومع هذا فإن فهرس فانيان يبقى متصدرا طليعة الفهارس المنجزة للمخطوطات في الجزائر، خلال قرن ونصف من الزمن، ونظرا لأهمية هذا الفهرس ولحاجة المكتبة الوطنية خاصة والعربية عامة ولندرته فإن المكتبة الوطنية، أقدمت على إعادة طبعه سنة 1995 م، ولم تكتف المكتبة بذلك بل شرعت في مشروع ترجمة هذا الفهرس إلى اللغة العربية مقسما كالتالي:

- القسم الأول (1-70 بمجموع 70 مجلدا وبها 27 مجموعا).

- القسم الثاني (71 - 150 بمجموع 80 مجلدا وبها 15 مجموعا).

- القسم الثالث (151 - 354 بمجموع 204 مجلدا وبها 33 مجموعا). (عوفي، 1999، صفحة 43،42).

وعموما فإن ما أنجزه الجزائريون هو 55 عملا بين فهارس وأبحاث ودراسات وقد قسمت أيضا إلى مجموعات متجانسة هي:

1 - فهارس وقوائم المكتبة الوطنية: وعددها 13 عملا نجد في المقدمة فهرس ادموند فانيان الذي طبعته المكتبة الوطنية الجزائرية سنة 1995م (طبعة ثانية). (ماحي، 2020، صفحة 5) تليه 4 فهارس أنجزها طلبة معهد علم المكتبات في جامعة الجزائر، وقد اعتمدت فيها الطريقة الوصفية المعتدلة التي أقرتها اللجنة العلمية في مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود في الدار البيضاء بالمغرب سنة 1989 م.

2 - فهارس وقوائم مكتبات وادي مزاب (جمعية التراث بالقرارة) وعددها 12 فهرسا وقائمة، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد فهارس المكتبة الوطنية من حيث الكم والكيف.

3 - فهارس زوايا ومساجد ومكتبات عامة وخاصة؛ ومنها فهرس لأهم 500 مخطوطة من مخطوطات مكتبة زاوية علي بن عمر بطولقة الذي قام بفهرستها وتقديمها يوسف حسين أشرفت عليه السفارة الأمريكية، (ماحي، 2020، صفحة 5) بالإضافة إلى مخطوطات ولاية أدرار تم إعدادها من طرف الأستاذين "بشار قويدر ومختار حساني" ضمن أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان سنة 1995م، وشملت إحصاء لبعض زوايا منطقة أدرار، منها زاوية كنتة وأقبلي وزاوية ملوكة، مع الإشارة إلى أن ما أنجزه الأستاذ عبد الكريم العوفي، من خلال كتابه يعتبر دليلا لكل ما أنجز من فهارس المخطوطات الجزائرية منذ سنة 1830م حتى سنة 2010م، والذي طبع من طرف المجلس الأعلى للغة العربية سنة2017 (ماحي، 2020، صفحة 6) بالإضافة إلى فهارس على شكل قوائم وبطاقات عادية وعددها 6 قوائم، وكتب ودراسات تناولت المخطوطات بالوصف والعرض وعددها عشر دراسات، إلى جانب فهارس وقوائم قيد الإنجاز وعددها 4 فهارس من إعداد الأستاذ عبد الكريم العوفي (عوفي، 1999، صفحة 45،46).

ثانيا: جهود الجزائريين في تحقيق المخطوطات:

كما اهتم الباحثون الجزئريون بتحقيق التراث المخطوط وارتكزت جهودهم على نوادر المخطوطات وقيمتهم العلمية ونذكر منهم:

- محمد بن أبي شنب 1929م، وما قدمه من تحقيق نذكر عنوان "الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية لأبي العباس الغبريني ".

- محمد بن عبد الكريم الجزائري: ومن تحقيقاته، التحفة المرضية في الدولة البكداشية لمحمد بن ميمون الجزائري.

- أبو القاسم سعد الله: ومن الكتب التي حققها لعلماء الجزائر" رحلة حمادوش الجزائري" و "منشور الهداية".

- الشيخ المهدي البوعبدلي: إضافة لمقتنياته الكثيرة للمخطوطات ومساهماته في ملتقيات الفكر الإسلامي فقد قام بتحقيق العديد من المخطوطات، منها "الثغر الجمالي في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن محمد سحنون الراشدي (ماحي، 2020، صفحة 6).

- بالإضافة إلى جهود فرق البحث من طرف الأساتذة الباحثين، وطلبة الدراسات العليا في تحقيق المخطوطات، وقد تبلورت هذه الجهود خاصة بعد اصلاح نظام الماجستير في معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر سنة 1994م، وفتحها المجال أمام الباحثين المنقبين عن المخطوطات، وإيجاد الإطار الذي يسمح بوضع كنوز ثقافتنا تحت تصرفهم، بما يسهل عملهم وينقذ المخطوطات من الضياع ويحفظ حقوق أصحابها (مريبعي، 1999، صفحة 81).

ثالثا: عقد المؤتمرات والندوات

لقد عقدت العديد من الملتقيات والندوات العلمية والمؤتمرات الدولية، من أجل التعريف بأهمية التراث المخطوط بالجزائر وتحقيقه وفهرسته ودراسته من جميع جوانبه العلمية والفنية والتقنية، وكذا آليات حفظه وصيانته، ونذكر من هذه النشاطات:

- ملتقى دولي حول " صناعة المخطوط " نظمه مخبر مخطوطات المنطقة - جمع ودراسة وتحقيق - جامعة الجلفة - من 22 إلى 24 أفريل 2012 م.

- المؤتمر الدولي الرابع حول "مخطوطات القرن السابع الهجري بين البحث البيبلوغرافي والتقويم الحضاري" - نظمه مخبر مخطوطات المنطقة - جمع ودراسة وتحقيق - جامعة الجلفة بالتنسيق مع معهد المخطوطات العربية بالقاهرة يومي 28-29 نوفمبر 2018م.

- ملتقى دولي حول " المخطوطات الجزائرية المنجز والمأمول" نظمه مخبر جمع وتوثيق الشعر الشعبي الجزائري - جامعة تلمسان، يومي 23 -24 أفريل 2017.

- الملتقى الدولي الثالث حول " المخطوطات الجزائرية واسهاماتها في الحضارة الإسلامية من تنظيم مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا-جامعة أدرار، يومي 29-30 نوفمبر 2016. (ماحي، 2020، صفحة 12).

- الملتقى الدولي الرابع حول "المخطوط والرقمنة والحماية القانونية" جامعة أدرار، يومي 13-14 نوفمبر2018م.

إلى جانب العديد من الأنشطة العلمية، على مستوى الجامعات والمخابر والمراكز البحثية، ومديريات الثقافة والمكتبات العمومية، والجمعيات المهتمة بالتراث الحضاري عموما والتراث المخطوط خصوصا.

رابعا: إنشاء المخابر وحفظ المخطوطات:

لعل من بين المخابر التي أنشأتها الجامعات الجزائرية، وعملت على دراسة المخطوطات فهرسة وتحقيقا، وجمعا وصيانة، إضافة إلى عقد ملتقيات وندوات علمية وتكوينية لفائدة الطلبة نذكر ما يلي:

- مخبر المخطوطات بمكتبة أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر التي بدأت عملية الفهرسة بها سنة 2012م، ويبلغ من مكنوناتها حوالي 1028 مخطوطا، كلها تم الحصول عليها من هيئات ومساجد وزوايا، ومشايخ جزائريين أمثال محمد الشيخ خير الدين والشيخ نعيم النعيمي والشيخ الحسين بسيدي خليفة من ولاية ميلة (حافظي، 2019، صفحة 609).

- مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال افريقيا بجامعة وهران يركز على المخطوطات الجزائرية داخل الوطن وخارجه، ضمن خطة لإحياء والحفاظ على التراث المعرفي الجزائري والشمال الإفريقي والأندلسي، ومن أهدافه العمل على إعداد دراسات

وبحوث علمية في مجال المخطوط فهرسة وتحقيقا، وجرد الخزائن التي تحظى بمكنونات المخطوطات على مستوى كل التراب الوطني، بالإضافة إلى إصدار أعمال النشر للمقالات والمداخلات في مجلة علمية تصدر عن المخبر وهي " المجلة الجزائرية للمخطوطات" (ماحي، 2020، صفحة 13).

- مخبر المخطوطات بجامعة الجزائر02: في إطار تنامي الاهتمام بالمخطوطات من طرف الباحثين وسعي الكثير من الأساتذة لمعرفة كنوز المخطوط، تم إنشاء مخبر المخطوطات بمعهد التاريخ، (خلاصي، 2013، صفحة 15) و تتمثل أهدافه في التشخيص العلمي لوضعية المخطوطات الجزائرية وعملية إنقاذه بشتى الوسائل، ومن مهامه أيضا القيام بعملية الإحصاء العام للرصيد الوطني للمخطوط المحفوظ في مختلف الخزائن ووصف منهجي لشكل المخطوط ومضمونه، (ماحي، 2020، صفحة 13) كما قام المخبر بعقد العديد من الملتقيات الوطنية والدولية وإصدار العديد من البحوث والمقالات الدورية في مجلة المخبر" المجلة المغاربية للمخطوطات".

- مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا بجامعة أدرار: تأسس سنة 2012م، وقام بخرجات عديدة لبعض الدول الافريقية كالسنيغال ونيجيريا وموريطانيا وغانا والنيجر والتي تزخر بالكثير من أعمال المؤلفين الجزائريين، والهدف هو تتبع آثار المخطوطات الجزائرية التي تنسب إلى هؤلاء العلماء والتعريف بهم، كما أعلن المخبر عن جائزة "محبرة التراث"، ومن المشاريع الواعدة للمخبر التي يعمل عليها بالتعاون مع المديرية العامة للبحث العلمي التطوير التكنولوجي"البوابة الجزائرية للمخطوطات(MAP) " مشروع بحث ذو تأثير وبعد اقتصادي واجتماعي يسعى لرقمنة وفهرسة أزيد من ثلاثين ألف مخطوط جزائري في خزائن ومكتبات الجزائر والعالم، كما يضم المخبر عدة فرق بحث خاصة بفهرسة المخطوطات في كل من الدول المذكورة آنفا، ويصدر عن المخبر مجلة علمية تعنى بنشر الأبحاث والمقالات العلمية وهي مجلة " رفوف ".

- مخبر جمع ودراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها بجامعة الجلفة: يشرف المخبر على تأطير الطلبة من خلال مكتبة المخبر وأعضائه وموقعه الإلكتروني، وكذا الأعمال العلمية

المنشورة في مجلة "التراث"، التي تصدر عنه، والتي يساهم فيها العديد من الباحثين والمختصين الدوليين في نشر أعمالهم، من خلال المؤتمرات والملتقيات الدولية والدورات التدريبية، التي يعقدها المخبر بالشراكة مع هيئات بحثية دولية، كمعهد المخطوطات العربية بمصر، ومركز جمعة الماجد بدبي، ومركز الفرقان، وهيئة المخطوطات الإسلامية ببريطانيا. (ماحي، 2020، صفحة 14).

خامسا: إنشاء مراكز ودور حفظ المخطوطات وترميمها وجمعها:

- المركز الوطني للمخطوطات بأدرار: بعد جهود كبيرة دامت سنوات تم إنشاء المركز الوطني للمخطوطات سنة 2006م، وهو اليوم يتكامل مع المكتبة الوطنية الجزائرية، ويهدف المركز أساسا إلى تحديد أماكن المخطوطات عند أصحاب الخزائن و المثقفين، وقد تم تحديد وإحصاء 400 خزانة تتمركز بالمناطق التي تكثر فيها الزوايا والعائلات االعلمية بالقصور الصحراوية (خلاصي، 2013، صفحة 16) كما أنشئ المركز الجهوي للمخطوطات بتلمسان.

- مصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية: وهي أكبر مصلحة تعتني بالمخطوطات، في الجزائر، حفظا وترميما وتجليدا ورقمنة، وتحتوي على أكثر من 3649 مخطوطا عربيا وفارسيا وتركيا بعضها ثمين لقدمه وبعضها لندرته وقيمته الفنية، (ماحي، 2020، صفحة 17) وتعمل المصلحة على جمع وعلاج ونشر المخطوطات، ويقوم فرع التصوير في المصلحة بمهمته المتمثلة في التصوير المصغر واستنساخ الوثائق النادرة والثمينة، كما يقوم فرع الحفظ والتجليد، على حماية المقتنيات الجديدة ومعالجة الرصيد القديم (ماحي، 2020، صفحة 18).

- مصلحة المخطوطات بجامعة الأمير عبد القادر: للحفاظ على المخطوطات وإتاحته في الشكل الإلكتروني، عبر الشبكة المحلية لعدد أكبر من المستفيدين، بحيث شرعت مكتبة أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة في إنشاء قسم ومخبر لرقمنة المخطوطات وترميمها وصيانتها، وذلك بالاستعانة بالخبرة الأمريكية في هذا المجال ضمن الاتفاقية المبرمة بين جامعة الأمير عبد القادر والسفارة الأمريكية بالجزائر، وقد أجريت العديد من الدورات التكوينية لفائدة المكتبيين بعنوان "ترميم وصيانة المخطوطات" كما تم تجهيز المصلحة

بجهاز سكانير عالي الجودة، وبجميع الوسائل المادية والبشرية ويضم المخبر حوالي ألف وثمانية وعشرين مخطوطا في مجالات متنوعة (ماحي، 2020، صفحة 18).

من الملاحظ والمتتبع إلى المجهودات التي بذلت من أجل التراث المخطوط في الجزائر، وبقراءة إستشرافية لواقع المخطوط اليوم يقف حقا، على حركة علمية نهضوية ساير مسلكها، جهات رسمية وحكومية، قدمت الدعم الكافي للتراث المخطوط، من حيث سن قوانين لحمايته وصيانته علميا وعمليا، وإنشاء مراكز ودور للحفظ، مع توفير الظروف المناسبة لتخزينه وتوسيع مجال البحث للدارسين، كما نهيب بالهيئات العلمية والثقافية، ممثلة في الجامعات الوطنية، والمخابر العلمية، ومراكز البحث، وجهود النخب المنشغلين في مجال التراث المخطوط.

- خاتمة

من خلال إلقائنا لسلسلة من الدروس لفائدة الطلبة في مقياس علم الكتابات والمخطوطات الإسلامية، برزت لنا العديد من الحقائق المتعلقة بهذين الفنين في مجال الآثار الإسلامية سيما في معرفة أنواع الكتابات الأثرية بصفة عامة وبعض النماذج التي عثر عليها في المباني الجزائرية وشواهد القبور -القائمة منها والمنقولة- والتي تحتفظ بها المتاحف الوطنية والحظائر، بالإضافة إلى معرفة الأهمية الحضارية في دراسة الكتابات الاثرية وسجلها التاريخي في امدادنا بسلسلة من الحقائق في نظام الحكم ورجالات الدول من سلاطين وحكام وأمراء، وما تميزوا به من أعمال ومنجزات معمارية وفنية.

بدورها كذلك المخطوطات الاسلامية لها دور مهم في دراسة الآثار. فمن خلال دراستنا لهدا النوع من الفنون سمح لنا معرفة المواد التي كتبت عليها المخطوطات خاصة المصاحف الشريفة، فمن الجلود إلى العظم إلى الحجارة إلى العسب ثم على البردي ثم على الورق الذي شاع استعماله أثناء العصر العباسي.

مكنتنا دراسة المخطوطات والكتابات الاسلامية من معرفة أنواع الخطوط المستعملة، وبالتالي البحث في نشأة هذه الخطوط وتطورها على المباني والمخطوطات.

ولم يقتصر تجليد المخطوطات بصفة عامة والمصحف الشريفة بصفة خاصة إلا على قطعتين من الخشب فقط، بل تطورت هذه الأخيرة إلى أن أصبحت تنفذ بمختلف أنواع الجلود والتقنيات، فاستعمل في تزيينها عدة مواد وأخذت تتطور من عصر إلى عصر حتى بلغت رونقها الفني المنقطع النظير وذلك خلال العهد العثماني الذي اتخذ عدة أساليب مثل الضغط بالأختام والتثقيب والتذهيب وتنفيذ الزخارف المتنوعة والمتمثلة في الأطر والسرات ورباط الركن، سواء بالغلاف من الخارج أو من الداخل.

ولم تقتصر هذه الأعمال الفنية على الغلاف فقط بل شهدت أوراق المخطوطات والمصاحف الشريفة في العهد العثماني أسلوبا فنيا راقيا من حيث العناصر ومن حيث

التقنيات، فقد بذل الفنان المسلم أقصى جهوده في زخرفة صفحات الافتتاحية وصفحات البداية وصفحات النهاية وهذا لإبراز أهمية صفحة الاستهلال في المؤلفات وصفحة الافتتاح في المصاحف الشريفة كسورة الفاتحة والبقرة ودعاء ختم القرآن وبما تعلق باسم الناسخ وتاريخ النسخ في كلي النموذجين، فكان يحيط هذه الأوراق بأطر غاية في الجمال جامعة بين تقنيتي التذهيب والتلوين، وغالبا ما اجتمعت فيها ألوان عديدة مع اللون الذهبي.

قائمة المصادر والمراجع

1. المصادر

- القرآن الكريم

- **ابن خلدون** (عبد الرحمان)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1413هـ 1992م.

- **الداني** (أبوعمر عثمان بن سعيد)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط شرح وتعليق: الشيخ حسن سري، الطبعة الأولى، 1426 هـ / 2005م.

- **الزركشي** (بدرالدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- **السجستاني** (أبو بكر عبد الله بن أبي داوود سليمان بن الأشعث)، كتاب المصاحف الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405 هـ /1985م.

- **السفياني** (الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد) ، صناعة تسفير الكتب وحل الذهب.

- **الصنهاجي** (المعز بن باديس التميمي)، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، حققه وقدم له: نجيب مايل الهروي وعصام مكية.

- **القلقشندي** (أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الثاني، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

2. المراجع.

- **أبو الفتوح** (محمد حسين)، ابن خلدون ورسم المصحف العثماني، الطبعة الأولى مكتبة لبنان، بيروت، 1992.

- **أبو هيبة** (عزت ياسين)، المخطوطات العربية، فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989.

- **أحمد** (عبد الرازق أحمد)، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة،1990.

- **أحمد** (كرم حلمي فرحات)، المخطوط العربي- أدوات التحقيق والدراسة- الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2009.

- **آصاف** (عزتلو يوسف بك)، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن تقديم: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة.

- **آصلان آبا** (أوقطاي)، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1987.

- **الأصمعي** (محمد عبد الجواد)، تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام ونوابغ المصورين والرسامين من العرب في العصور الإسلامية، دار المعارف القاهرة.

بورويبة (رشيد)، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة: ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979

- **البياتي** (حسن قاسم حبش)، رحلة المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد، الطبعة الأولى، دار القلم بيروت، 1414 هـ / 1993م.

- **جودي** (محمد حسين)، ابتكارات العرب في الفنون وأثرها في الفن الأوروبي في القرون الوسطى، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.

- **الحلوجي** (عبد الستار)، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة.

- **الحلوجي** (عبد الستار)، المخطوط العربي، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية 2002.

- **حسني** (إيناس)، أثر الفن الإسلامي على التصوير في عصر النهضة، دار الجيل 2005.

- **الداغستاني** (بسام)، المخطوط العربي الإسلامي - حفظه ومعالجته وترميمه - الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات، دبي، 2002.

- **الدسوقي** (شادية عبد العزيز)، فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية، الطبعة الأولى، دار القاهرة، القاهرة، 2002.

- **ديماند** (م.س)، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة: أحمد فكري الطبعة الثانية دار المعارف، 1958.

- **ذنيبات** (عوض عبد الكريم)، المختار من تاريخ العلوم عند العرب، الطبعة الأولى دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.

- **زكي** (محمد حسن)، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1401 هـ 1981م.

- **زكي** (محمد حسن)، كنوز الفاطميين، دار الرائد، بيروت، لبنان.

- **زكي** (محمد حسن)، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، دار الرائد العربي، بيروت لبنان.

- **سالم** (سحر السيد عبد العزيز)، أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقا وغربا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- **سري** (حسن)، الرسم العثماني للمصحف الشريف، مدخل ودراسة، الطبعة الأولى مركز الإسكندرية للشباب، 2000.

- **سيد** (أيمن فؤاد)، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، 1997.

- **شريفي** (محمد بن سعيد)، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة - من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1395هـ، 1975م.

- **عطية** (صالح محمد صالح)، رسم المصحف، إحصاء ودراسة، الطبعة الثانية منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس،2001.

- **عفيفي** (فوزي سالم)، خط الثلث - تطوره جمالاته ووسائل تجويده - مكتب ممدوح القاهرة، 1991.

- **علام** (نعمت اسماعيل)، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، الطبعة الثانية دار المعارف، القاهرة.

- **عمر** (ابراهيم علي)، القرآن الكريم، تاريخه وآدابه، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح الكويت، 1404هـ / 1984م.

- **فرحات** (كرم حلمي أحمد)، المخطوط العربي - أدوات التحقيق والدراسة والنشر - الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2009.

- **فريد** (محمد)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة الأولى، مطبعة محمد أفندي مصطفى، مصر، 1211هـ / 1892م.

- **فضائلي** (حبيب الله)، أطلس الخط والخطوط، ترجمة: محمد التونجي، مكتبة دار طلاس دمشق، 1993.

- **كليب** (فضل جميل)، خليل (فؤاد محمد)، المخطوطات العربية فهرستها علميا وعمليا الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع، 2006.

- **ماهر** (سعاد)، الخزف التركي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، 1972.

- **محاسنة** (محمد حسين)، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2000 – 2001.

- **محمد** (حجاجي ابراهيم)، تطور صناعة الصباغ والأحبار، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، 2008.

- **مرزوق** (محمد عبد العزيز)، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

- **مرزوق** (محمد عبد العزيز)، المصحف الشريف - دراسة تاريخية وفنية - الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.

- **المسفر** (عبد العزيز بن محمد)، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ للنشر، الرياض، 1999.

- **المنوني** (محمد)، تاريخ الوراقة المغربية - صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 02، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، 1991.

- **نوار** (سامي محمد)، فن صناعة المخطوط الفارسي، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية.

- **يوسف** (مصطفى السيد)، صيانة المخطوطات علما وعملا، عالم الكتب، القاهرة 2002.

- **حاج قويدر**(العيد)، بيانات وقيود التوثيق في المخطوط العربي مخطوط خزائن توات أنموذجا، أطروحة دكتوراه في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم المكتبات والعلوم الوثائقية، جامعة وهران2017،1/2018.

3. المجلات.

- **الحسني** (علي جهاد ظاهر)، " فن التجليد ومراحل تطوره عند المسلمين " مجلة ينابيع، العدد 9 ذو القعدة 1426 هـ، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي.

- **الداغستاني** (بسام)، المخطوط العربي الإسلامي - حفظه ومعالجته وترميمه - الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات، دبي، 2002.